دراسات فى المسيحية

قانون الإيمان المسيحي

الجزء الأول



إعداد

أحمد طه

دار الصفوة




المسيح بن مريم في القرآن الكريم

الجزء الأول

قانون الإيمان المسيحي

دراسة نقدية





1435 هـ - 2013 م

islamic_nation1427@yahoo.com






[لطفًا.. اضغط على عنوان الموضوع؛ لتذهب إليه مباشرةً]

إهداء

إلى كل مسيحيي العالم..

باختلاف طوائفهم، ومذاهبهم، ومعتقداتهم

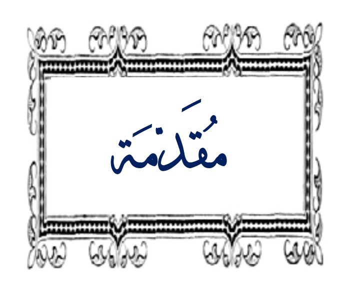
حتى العلمانيين منهم..

إلى الذين يبحثون عن الحق والإيمان.

إلى العقلاء الذين يبحثون عن.. سبيل نجاة.

أحمد طه





مُقدِّمَة

ينقسم هذا الكتاب إلى جزئين:

الجزء الأول: "قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني ـ دستور الإيمان" وفي هذا الجزء نناقش هذا القانون من الناحية العقلية، ونحاول فهمه، وإثارة الأسئلة حوله.. وتركت إجاباتها للعقل المسيحي ليحكم هو عليها.

والجزء الثاني: "المسيح في القرآن الكريم" وفي هذا الجزء استجمعت ما قاله الله تعالى عن المسيح ـ بن مريم ـ عليهما السلام، وما جاء في العقيدة المسيحية.

ولم أنقل من الأناجيل المسيحية شيئاً أو تمت المناقشة من خلالها؛ لأنني حينما بحثت عن مصدر للإنجيل متواتر ومعروف من كتبه ومتى كتبه، وتتفق تراجمه المختلفة، ويتفق عليه كل المسيحيين فلم أجد إنجيلاً واحداً ! وهذا ما وصلت إليه:

– في مدينة نيقية سنة 325 م، عقد مؤتمر (مجمع) لعلماء الدين المسيحي لبحث وتحديد وضع الأناجيل المسيحية، بعد هذا المجمع تم اختيار أربعة أناجيل من بين ثلاثمائة إنجيل على الأقل وأعطي الأمر للقضاء على البقية بشكل تام. كما أعطي الأمر كذلك للقضاء على كافة الأناجيل التي كُتبت بالعبرية.





- في العدد رقم 137 من مجلة "عالم الكتاب المقدس" سبتمبر- أكتوبر 2001، والذى يتصدر غلافها موضوع رئيسي بعنوان : "من كتب الكتاب المقدس ؟"، نطالع في المقال الذى بقلم جوزيف موان J. Moingt، الأستاذ المتفرغ بكليات الجزويت بباريس، والذى يشير فيه إلى صعوبتين فيما يتعلق بالكتاب المقدس قائلاً:

"**أولا**: إن الكتاب المقدس ليس كتاباً بالمعنى المفهوم وإنما مكتبة بأسرها، مجموعة متعددة من الكتب والأنواع الأدبية المختلفة، بلغات مختلفة، ويمتد تأليفه على عشرات القرون، وأنه قد تم تجميع كتبه في شكل كتاب بالتدريج، ابتداء من مراكز صياغة ونشر متنوعة.

ثانيا: كل كتاب من هذه الكتب لم يتم تأليفه دفعة واحدة، بقلم نفس الكاتب، وإنما صيغ كل كتاب منها اعتماداً على العديد من التُراث الشفهية المتناثرة وكتابات جزئية متفرقة ناجمة عن مصادر شتى بعد أن تمت إعادة كتابتها وصياغتها وتبديلها على فترات طويلة قبل أن تصل إلى ما هي عليه".

- قالت الموسوعة البريطانية عن التناقضات في مداخلة "الكتاب المقدس" أنها تصل إلى 150,000 تناقضاً، وقد رفعها العلماء مؤخراً إلى الضعف تقريباً.

- اختلفت مصاد الكتاب المقدس، فهناك مصادر عامة (مواقع الكنائس والكتب الموجهة للعامة)، والمصادر الأكاديمية المتخصصة في اللاهوت وهي تُقر بأن: (الكَتَبة مجهولون، والمخطوطات فُقدت، وأقدم المخطوطات الموجودة كانت منذ القرن الرابع



الميلادي، والمخطوطات غير مكتملة، والمخطوطات بها اختلافات)، وكذلك المصادر العلمية الموسوعية مثل الموسوعة البريطانية والأمريكية.

- اختلاف التراجم في اللغات الآرامية والسريانية والعبرية واليونانية، واللاتينية والإنجليزية، والتراجم العربية المشتركة، والمبسطة، والترجمة الكاثوليكية.. دون أن تكون هناك نسخة واحدة هي المرجع الأصلي الوحيد !

وسواء اتفق القارئ المسيحي مع هذه النقولات السابقة أو رفضها **فالخلاصة** هي:

1- لا تُوجد نسخة إنجيل واحدة ـ مُجمع عليها ـ يمكن التحاكم إليها.

2- لا تُوجد ترجمة واحدة يمكن التوافق عليها.

3- لا يوجد سند متصل لكاتب الإنجيل.

4- لا تتفق الطوائف المسيحية على إنجيل واحد.

5- وجود تناقض بين نُسخ الأناجيل.

إشكالية أخرى:

- وهي احتكار فهم الإنجيل في طبقة الكهنوت، فالكاهن هو: "السلطة الوحيدة التي لها الحق في أن تفكر وتدرس وتفسر وتشرح الأسفار الدينية". كما جاء في تعريف "سر الكهنوت" !



- اتباع المتشابه من القول، وتحميل الألفاظ ما لم تحتمل، ومحاولة فهم النصوص من خلال مباحث الفلسفة وطرقها، بل والدخول في وجود معاني باطنية للألفاظ !

كل أولئك ـ وغيره ـ منعني من مناقشة "الاعتقاد المسيحي الحالي" من خلال الأناجيل.

وأوضح أنني لستُ بصدد الحديث عن "دراسة الأناجيل" وتاريخها وما جاء فيها، بل بصدد الحديث والبحث عن كلمة جامعة يمكن التحاكم إليها ومناقشتها، ولم أجد أنسب من "قانون الإيمان المسيحي" للبحث والدراسة والنقد.

لماذا اخترت قانون الإيمان المسيحي ؟

1- لأنه الكلمة الجامعة لكل مسيحيي العالم باختلاف طوائفهم ومذاهبهم، وتؤمن به كل الكنائس المسيحية في العالم أجمع، عدا شهود يهوه، والسبتين.

2- لأنه نص محدد وجامع، وتتفق ترجمته اليونانية واللاتينية والإنجليزية مع العربية، باستثناء لفظ "الآب" و"الأب".

3- أن النص معروف من كتبه ومتى كتبه وأين كتبه.

4- أن هذا النص حُفظ تاريخياً، وظل متواتراً على مدار الأجيال.





وهذا الكتاب مُوجه إلى كل مسيحيي العالم بمختلف طوائفهم ومذاهبهم ومعتقداتهم، حتى العلمانيين منهم ! وليكن القارئ على يقين أنني ما أعددت هذا الكتاب إلا حرصاً عليهم، ورحمة بهم، ورحمة بالإنسانية، ورغبة من القلب أن يدخلوا جنة الخلد، وأن ينجوا من عذاب النار، وقبل هذا وذاك.. بلاغ وبشرى ونذير، ابتغي بها رضى رب العالمين.

اللّهم وفقني لكلمة الحق، وانفع بها الناس، اللّهم افتح بكلمتي هذه القلوب، ونوّر بها العقول، واهد بها النفوس، واشرح بها الصدور.. واجعلها خالصة لك يا رب العالمين.

أحمد طه

islamic_nation1427@yahoo.com







نص قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني

وَضع هذا القانون مجمع نيقية المسكوني سنة 325م، بحضور (2048) من الأساقفة، وكان النقاش بينهم حاداً وعنيفاً وقاسياً، فحدثت خلافات شديدة بينهم! وعندئذ اختلف الناس إلى قسمين، الفريق الملكي الذي شكل مجمع نيقية وعدده (318) أسقفاً، والفريق المعارض وهم شتى في الرأي والمذهب. وأكمل القانون مجمع القسطنطينية المسكوني سنة 381م بحضور (150) أسقفاً[1]، لذلك فهو يسمى بقانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى. وهو عقيدة النصارى التي لا تختلف عليها الكنائس، ويُعتبر من لا يؤمن به لا يكون مسيحياً. وهو يُتلى في جميع الكنائس حتى اليوم.

نص قانون الإيمان القسطنطيني ترجمة عن اليونانية القديمة[2]:

[نؤمن بإلهٍ واحد، آبٍ قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، كل الأشياء المرئيّة واللامرئيّة. وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولودُ من الآب قبل كل الدهور، نورٌ من نور، إلهٌ حق من إلهٍ حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي بواسطتهِ كانت كل الأشياء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزلَ من السماوات وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنَّس، صُلِبَ من أجلنا على عهد بيلاطس البنطي، تألَّم وقبر وقام في اليوم الثالث بحسب الكتب، وصعدَ إلى السماوات وهو جالسٌ عن يمين الآب، آتٍ ثانية في المجد؛ ليدين الأحياء والأموات

(1) تاريخ ابن البطريق. أضواء على المسيحية - متولي يوسف شلبي.
(2) الموسوعة العربية المسيحية. تاريخ ابن البطريق.





الذي لا فناءَ لمُلكهِ. وبالروح القدس الرب المحيي، المُنبثِق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ لهُ ومُمجَّد. الناطق بالأنبياء. وبكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة ورسولية؛ نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي].

نص قانون الإيمان القسطنطيني ترجمة عن اللاتينية:

[... وبالروح القدس الرب المحيي، المُنبثِق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ لهُ ومُمجَّد، الناطق بالأنبياء....]

ولأنه قانون، وقانون إيمان، فسنناقشه بنصوصه، كلمة كلمة، فهذا القانون ليس موعظة أو حديث رجل دين، بل هو أساس الدين.. وكل كلمة لها معنى ومقصودة لذاتها، فهذا القانون هو الكلمة الجامعة التي يؤمن بها كل مسيحيي العالم، ما عدا جزئية "الروح القدس" عند الكنيسة الكاثوليكية.

***

ينقسم قانون الإيمان القسطنطيني إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وصف الله الآب.

القسم الثاني: وصف للرب الواحد الإله يسوع المسيح.

القسم الثالث: وصف للرب المُحيي الروح القدس.





"نؤمن بإلهٍ واحِدٍ، آبٍ قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، كل الأشياء المرئيّة واللامرئيّة."

"نؤمن بإله واحد"

حرصت المسيحية ـ طوال تاريخها ـ تأكيدها على "عقيدة التوحيد" وأنها لا تُشرك بالله شيئاً.. وتدفع عنها الاتهام بالشِرك أو تعدد الآلهة؛ فهي "تؤمن بإله واحد" كما تقول أول فقرة في قانون الإيمان. ولكنها لا تلبث أن تنقض هذا التوحيد بعقيدة الثالوث! وسنتكلم عن عقيدة الثالوث بعد الانتهاء من مناقشة القانون، حتى تكون الفكرة قد اكتملت بين يدي القارئ.

فلا تكاد تلك الفقرة تنتهي: "نؤمن بإله واحد" حتى تقع فيما يناقضها.. فأول كلمة بعد هذا التوحيد "آب" أي: الأقنوم الأول، ثم يليه الأقنوم الثاني، ثم الثالث!

فما المقصود بإله واحد؟

الإله الواحد ـ كما فهمت من القانون ـ مقصود منها وحدة جوهر الذات الإلهية للثلاثة أقانيم، أي أن جوهر كل أقنوم (الآب ـ الابن ـ الروح القدس) واحد، فهذا هو المقصود من التوحيد على أساس "توحيد الثالوث" كما سنشرحه لاحقاً.

***



"آبٍ قادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، كل الأشياء المرئيّة واللامرئيّة."

فما هو الآب؟

كلمة "آب" أصلها سرياني، وتعني في اللغة العربية بمعنى الأصل أو الأساس.. واختصت بالأقنوم الأول من الثالوث "الله الآب"[1].. ليتميز عن الأقنوم الثاني "الله الابن"، والأقنوم الثالث "الله الروح القدس".

فما هي صفات الآب حسب القانون؟

- إله واحد.
- قادر على كل شيء، وفي رواية أخرى للنص بـ "ضابط للكل".
- خالق السماء والأرض، كل الأشياء المرئية واللامرئية. وفي رواية أخرى "كل ما يُرى، وما لا يُرى".

جمَع هذا الوصف للآب القدرة على كل شيء، وخلق كل شيء.. ولم يُضف أي شركاء "للآب" لا في القدرة ولا في الخلق. وبهذا الشمول في "القدرة والخلق" ووضعها في مقدمة القانون تزيد في تفرّد "الله الآب" بها..

(1) قاموس المصطلحات الكنسية ـ موقع كنيسة الأنبا تكلا.



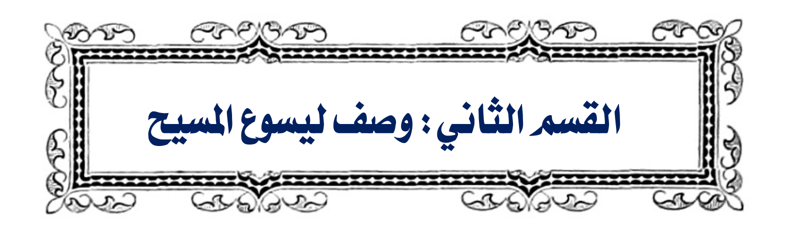
فهذه صفة خاصة "بالله الآب" وحده.. ولو كان يشترك فيها مع الابن أو الروح القدس كان قطعاً يجب ذكرها، فهذا "نص قانون إيمان" ولكن تخصيص النص بكلمة "الآب" يعني تفرّده في هذه الصفة. وهذا التفرّد يجعله أسبق في أمرين كما بيّن النص: "القدرة على كل شيء أو ضبط الكل" و"خلق كل شيء" ومن ضمن الخَلق الروح القدس تحديداً.. لأن القانون استثنى "الله الابن" من مسألة الخلق فقال عنه: "مولود غير مخلوق" لكن عن الروح القدس قال: "انبثق من الآب أو الآب والابن" فهنا يحدد كيفية وجود الروح القدس، لكنه لم يقل "غير مخلوق" مثلما قالها عن "الله الابن".

ولو لم يكن الروح القدس مخلوق كان على القانون أن يقول: "انبثق غير مخلوق" كما قالها عن "الله الابن" ! لا سيما والمجمع الثاني سنة 381م اجتمع خصيصاً من أجل "الروح القدس" !









"وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولودُ من الآب قبل كل الدهور، نورٌ من نور، إلهٌ حق من إلهٍ حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي بواسطتِهِ كانت كل الأشياء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزلَ من السماوات وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنَّس، صُلِبَ من أجلنا على عهد بيلاطس البنطي، تألَّم وقبر وقام في اليوم الثالث بحسب الكتب وصعدَ إلى السماوات، وهو جالسٌ عن يمين الآب، آتٍ ثانية في المجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناءَ لمُلكهِ."

وهذا هو القسم الأكبر من القانون، وعليه كان أساس المجمع الأول (نيقية ـ 325م) لتقرير ألوهية المسيح.

وَصف القانون "الله الابن" بالتالي:

- رب واحد يسوع المسيح.
- ابن الله الوحيد.
- مولود من الآب قبل كل الدهور.
- نور من نور، إله حق من إله حق.





- مولود غير مخلوق.
- مساوٍ للآب في الجوهر.
- بواسطته كانت كل الأشياء.
- هو المختار للخلاص والفداء.
- صاحب الدينونة "يُدين الأحياء والأموات".
- هو المَلك لا فناء لملكه.

والآن نستعرض النصوص تفصيلاً..

***

"وبرب واحد يسوع المسيح"

أول وصف ليسوع المسيح ـ في القانون ـ هو "الرب" ونلحظ أن هذا الوصف لم يكن "للآب" وتخصيصه هنا ليسوع المسيح مقصود به، ومقصود به وحده إذ قال: "رب واحد" ولم يقل "الرب يسوع المسيح".

وتخصيص يسوع المسيح بـ"الربوبية" والربوبية له وحده، ومن قبلها في القسم الأول من القانون ألوهية "لله الآب" ! جعلت هناك فصل تام بين "ألوهية الآب" وبين "ربوبية الابن" !





وهذا الفصل بالألوهية لإله هو "الآب"، وبالدينونة لرب هو "الابن" هو عين الشِرك وأوضح تعريف للشرك. فإن الإقرار بالقدرة والخلق "لله الآب" تقتضي حتماً أنه هو "الرب" أي: القائم على أمر الكون والناس، وله يَدين ويخضع الخلق كلهم، والكون كله !

فتوحيد الألوهية في الخَلق والقدرة والمُلك؛ يقتضي حتماً توحيد الربوبية في الطاعة والخضوع والاتباع.

فإن أخص خصائص الألوهية للإله.. هي ربوبيته على خلقه، وتصريفه للكون والحياة فليس هناك إله خَلق، وهناك رب آخر يُدِين ويُطاع ! فالألوهية الواحدة تقتضي دينونة واحدة لها القوامة الواحدة على الكون والناس.

وإذ لم يقتضِ توحيد الألوهية توحيد الربوبية والدينونة والقوامة والطاعة والاتباع في نظر البعض؛ فإنه حتماً يُقر بوجود شركاء أو شريك هو "الابن" ! لا مفر من ذلك، ولا مكابرة عن ذلك !

فهذا النص يقول: هناك "آب" قادر على كل شيء وخالق كل شيء. و"ابن" له الربوبية والدينونة والطاعة والخضوع والاتباع والاستسلام !

كأن النص يقول: هناك "آب" خَلق، وهناك "ابن" رب يَحكم ويُدِين ويُطاع ويُتبع !

وهذا المعنى هو الشِرك، ولا شيء غير الشرك.. فذاك إله هو الآب، وهذا رب واحد هو الابن، ولا يلغي هذا المعنى الفقرة الأولى من القانون "نؤمن بإله واحد". فالإله



الواحد هو رب واحد، له القوامة على الكون والناس، ولا شريك له في ذاته؛ ولا في مُلكه، ولا في خلقه، ولا في حكمه، ولا في أمره، ولا في مشيئته، ولا في إرادته، ولا في أي شيء.

على أن رُبوبية الابن لم تَسلم له وحده، فإذ يقول القانون هنا عن يسوع المسيح: "رب واحد".. نجد في نهاية القانون (شريك) ليسوع المسيح في تلك الربوبية.. هو الروح القدس: "الرب المُحيي" !!

***

"ابن الله الوحيد"

الله الآب القادر على كل شيء، والخالق لكل شيء اتخذ ولدا.. لماذا؟!

وكيف للإله الذي خَلق كل هذا التنوع في هذا الكون.. أن يكون "مولوده" وحيداً؟ لماذا لم يَخلق له أخوة وبنين وأحفاد؟!

لماذا هو الوحيد؟ أو لم يكن الإله - الذي خلق كل ما يُرى وما لا يُرى - بقادرٍ على أن يَخلق أو يَلد جيشاً من الأبناء؟!

يقولون: لأنه "الكلمة" الكلمة.. التي صار بها كل شيء ! إذن الكلمة فقط !

وعلى هذا المعنى.. لماذا لم يتخذ الله الآب ابناً آخر مع الابن الكلمة؟! فيكون الابن الحكمة، الابن العلم، الابن الحب، الابن العذاب، الابن القوة، الابن العقاب، الابن





المشرف العام... إلى عشرات الآلاف من الأبناء، ويكونوا جيشاً لأبيهم يحركهم كيفما شاء..!

إن العقل حينما يسمع كلمة "الابن" يتجه نحو "الأسرة والعائلة"؟ فلمَ هو الوحيد؟ وأين بقية العائلة؟!

كنت في زيارة لنيوزيلندا، وفي محطة الأتوبيس جاءت إليّ فتاة وصديقها، وتحدثا إليّ في هدوء وأدب تبشر بالمسيحية.. فقالت: " الله الأب، وله إله هو الابن، فأين "الله الأم"؟! واستطردت قائلة: إنها ليست مريم العذراء..! إن مريم ما هي إلا الأم الفيزيائية أو الجسدية "Physical mother"، إذن وعلى ترتيب: الله الأب، والله الابن.. هناك "الله الأم" زوجة الله الأب ومن نفس جوهره، وأم الله الابن ! وهذا هو الترتيب المنطقي.. ثم قالت إن لهم كنيسة جامعة في "كوريا الجنوبية" ويبشرون بهذه العقيدة التي قد تناسى منطقها السابقون" !

ولم أُعلق سوى بسؤالي الوحيد الذي لا انتقل لغيره وهو: **أي قانون أو قوة أو إرادة اخضعت وأجبرت "الله" أياً كان هو وأياً كان وصفه.. أن يصلب نفسه أو ابنه أو أقنوم منه؛ ليغفر خطيئة مخلوق خلقه؟!**

وقبل أن نختم مناقشة هذا النص.. أُذكر القارئ بأن كلمة "الابن" يستحيل معها استحالة تامة أن تكون هي "الآب" - في نفس الوقت - بأي حال من الأحوال، وبأي صورة من الصور، وبأي تخيل من الخيال.. فذاك آب، وهذا ابن، وهذا له وصف، وذاك له وصف. بل وهذا له أفعال، وذاك له أفعال !

ونلفت الانتباه أيضاً بأنه يستحيل أن يكون الآب والابن كانا في نفس الوقت.. وإلا لماذا سُمي "ابن"؟

لماذا لم يُسمى "الآب" الكلمة؟! ولماذا وُصف "بالمولود"؟! ولماذا تقدم الآب في الذِكر عن الابن؟!

***

"المولود من الآب"

"الولادة" أياً كان معناها وكيفيتها.. ستكون كلها حالات تنتقل من العدم إلى الوجود.

ونلحظ أن النص فصل بين كلمة "الله" و"الآب" بمعنى لماذا لم يقل النص: ابن الله الوحيد، المولود من "الله" قبل كل الدهور؟.. أيقصد أن "الله" لفظ يدل على الثلاثة أقانيم، فأراد التحديد بلفظ "الآب".. والآب: مصدر وحيد تتفرع منه الآلهة الثلاث؟!

وكلمة "مولود" هذه تُصور كيفيات أفعال الله، وطالما أن النص قال كلمة "مولود" يعني أن لها دلالة مُعينة، فلماذا لم يقل "خرج" "انسلخ" "انساب" "انفصل"؟ وطالما أن النص حدد هذا المعنى "مولود" ويصور كيفيات أفعال الله..! عليه أن يستكمل تلك الجرأة ويشرح لنا كيفية تلك الولادة، وكيف تمت؟! ولا يقول أن العقل لا يستوعبها..! إذن فكيف يستوعب "مولود من الآب قبل كل الدهور"؟!

وبناء على ذلك هناك ثلاث معضلات في كلمة "مولود":





أولها: أن الذي كتبها في القانون، عليه أن يُبيّن كيفية تلك الولادة.. ولا يُحيلها إلى الأسرار، طالما أنه أقحم العقل في كيفيات أفعال الله.

الثانية: أنه أياً كانت "طبيعة" تلك الولادة ـ حتى ولو كانت كما فسرها البعض "شعلة نار انفصلت من شعلة نار"[1] ـ فهي انتقال "المولود" من حالة العدم إلى حالة الوجود.

والثالثة: أن الوالد "الآب" متقدم على "الابن" وسابق لوجوده حتماً وقطعاً لا شك في ذلك، كما تُعبر الدلالة الظاهرية للألفاظ.

فالآب اتجهت إرادته ومشيئته لفعل "الولادة" ليكون "الابن".. أي أن الابن لم يكن موجوداً قبل إرادة الآب "بالولادة" ! وإلا لماذا قال النص: "مولود من الآب"؟! أيكون وُلد من الآب بغير إرادة الآب؟! وأين الابن قبل تلك الولادة؟! وكيف كان الآب ينطق بكلمته "عقل الله الناطق" قبل تلك الولادة؟ أوَليس الابن هو "الذي بواسطته كانت كل الأشياء" أوَ يكون الابن قد وَلِد نفسه؟!

"مولود من الآب" أوضح معنى لانفصال الذوات، وانفصال الآلهة، وتعدد الإرادات، وتعدد الآلهة والأرباب.!!

***

(1) وهي مقالة "سابليوس" وشيعته، تاريخ ابن البطريق.





"قبل كل الدهور"

وهنا يتبين مدى عجز العقل البشري ومحدودية طاقته.. إذ لا يمكنه تصور أي شيء إلا في "حدود الزمان والمكان"؛ لأن العقل هو الآخر "مخلوق" من العدم، ويستحيل أن يستطيع تصور شيء إلا في حدود "زمان ومكان" ولن يستطيع تصور أي شيء من الغيب لأنه خارج حدود قدرته ومجاله، ولا مشكلة في ذلك.. فدور العقل محدد في عمارة الأرض ورؤية آيات الله في مخلوقاته، ولكن المشكلة ـ أو الإلحاد بمعنى أدق ـ هو أن يتجرأ هذا العقل المخلوق على خالقه، فيتخيل ويظن ويُقر عن ما لا يراه ولا يستطيع تصوره، ثم.. يقول ويَشهد على خالقه!

ورغم أن النص يحاول أن يجعل للابن صفة القِدم أي قبل كل العصور والأزمان.. إلا أن كلمة "قبل" هذه لن يستطيع العقل تجاوزها، ولن يجد منها مهرب، فهي تحدد ببساطة "زمن الولادة".. قبل كل الدهور! مثلما تحدد كلمة "مولود" كيفية وجود الابن أياً كانت طبيعة تلك الولادة!

وبناء على ذلك: أن نص "مولود من الآب قبل كل الدهور" ممكن أن يعني أنه مولود من الآب بعد خلق عوالم لا نعلمها ولم نشهدها؟

ومعناها أيضاً أن الابن موجود قبل خلق آدم ـ المخلوق الذي سيُصلب من أجله ـ ويدمر كل معاني وخصائص الربوبية والألوهية كما سيأتي.





وهذا النص: "قبل كل الدهور" لم يكن موجوداً في نص قانون الإيمان النيقاوي، وأُضيف في النص القسطنطيني، النص النيقاوي هو: "ابن الله، مولود الآب الوحيد، أي من جوهر الآب" !

***

"نور من نور.."

واستكمالاً للتأكيد على الفصل في الذوات وفي الوجود.. بعد "مولود **من** الآب"، فهو الابن نور **من** نور الآب!

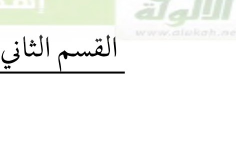
"إلهٌ حقّ"

وبعد أن وصف النص "الابن" بالربوبية الواحدة: "رب واحد يسوع المسيح".. يُضيف هنا "الألوهية" إليه "إله حق" وبذلك يكون: رب واحد إله حق يسوع المسيح.

فيجمع للابن الربوبية ثم الألوهية معاً.. فلم تَسلم ألوهية الآب من الشِرك؛ حتى جاء الابن "المولود من الآب" ليشاركه تلك "الألوهية" فيصبح إله ورب! ولكن النص لم يُحدد صفات تلك الألوهية مثلما وصفها للآب بأنه "قادر على كل شيء، وخالق كل شيء".

ولكن قانون الإيمان لم يُضف للآب صفة الربوبية! فالابن شارك الآب في الألوهية، ولم يشارك الآب الابن في الربوبية حسب القانون !





ويبدو أن البشر التي كتبت "قانون الإيمان" لا تفهم معاني الألوهية والربوبية ـ كما ذكرت من قبل ـ وإن أي محاولة لفصل توحيد الألوهية عن توحيد الربوبية.. وتجعل الألوهية لآب، والربوبية لابن؛ فهذا هو الشِرك ولا شيء غير الشرك. فالقانون يخلط في أسلوب مضطرب وصياغة غير متناسقة.. يخلط بينهما فيُسمي الألوهية مرة للآب.. ثم يُسمي الربوبية مرة للابن.. ثم يعود فيُسمي الألوهية للابن فيصبح "رب وإله"!

ويبدو من النص أن الابن أعلى درجة أو أهمية من الآب؛ لأن النص خصه بأنه "رب وإله" بينما الآب "إله فقط" بحسب القانون ! بمعنى.. أن "الابن" شارك مع "الآب" الألوهية.. ثم تفرّد "الابن" "بالربوبية" أي بالدينونة والخضوع والاتباع والتسليم له.

وهذه طبيعة البشر حين يجادلوا في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ مزيد من التخبط والتيه والطلاسم، وكلما حاول المرء فهم جزء من القانون؛ انقلب عليه النص التالي يلغي الفهم الأول.

"من إله حق"

عودة مرة أخرى للتأكيد عن انفصال الذوات انفصال تام، وتميز احدها عن الآخر، واختلاف خصائص وأوصاف كل منهما، فالقانون قال من قبل: "مولود **من** الآب" "نور **من** نور" وهذا التأكيد الثالث: "إله حق **من** إله حق".

***





"مولود غير مخلوق"

في النص الذي تحدث عن كيفية وجود الابن "مولود من الآب" يصف القانون هنا وصف آخر: "مولود غير مخلوق" وهو وصف ـ على الحقيقة ـ يسخر من العقل البشري، ويسخر من الإنسان الذي يُراد له أن يؤمن بأن "المولود" غير "المخلوق".. كيف؟! لا بد من إلغاء العقل البشري حتى نقفز فوق هذا النص!

يقولون جاهدين أنفسهم في البحث عن معنى لهذا النص وغيره: شعاع نور "انفصل" من شعاع نور، أو شُعلة نار "انفصلت" من شعلة نار[1] !

ولم يبعدوا كثيراً.. إنها أيضاً "انفصلت"، فما الفرق بينها وبين "مولود" و"مخلوق"؟ فهل تلك الشعلة انفصلت بإرادتها أم بإرادة الأصل الذي انفصلت منه؟ ثم إنه سيكون هناك أصل انفصلت منه سابق سابق لها في الوجود ! فكيف سيحل العقل تلك المعضلة..؟! لا سبيل !

فيستحيل على العقل استحالة تامة أن يفهم هذا النص "مولود غير مخلوق" "فالولادة" ـ أياً كانت ما يقصده النص منها ـ هي "حالة".. وحالة وجود بعد العدم ! و"الخلق" حالة.. وحالة وجود بعد العدم! والانفصال حالة.. وحالة وجود بعد العدم! فما الفرق ؟!

(1) وهي مقالة "سابليوس" وشيعته، تاريخ ابن البطريق. التثليث والتوحيد - حلمي القمص يعقوب.



وطالما أن النص ذكر الكلمة وخصصها وحددها هذا التحديد "مولود غير مخلوق" أي أن واضعي القانون عندهم تصور ما عن هذه الولادة، وتميزها عن عملية "الخلق" ولا يجوز عند المطالبة بتفسيرها أن نقول: "لا نعلم" فكيف لبشر أن يكتب بيديه نصاً هو قانون الإيمان لكل المسيحيين.. لا يعرف ما يكتبه؟!

***

"مساوٍ للآب في الجوهر"

مساوٍ للآب في الجوهر فقط؟

أيعني أنه ليس مساوٍ للآب في القدرة على كل شيء، وخلق كل شيء؟!

أيعني أنه ليس مساوٍ للآب في الذات، إنْ كان هناك فرق بين الجوهر والذات؟!

أيعني أنه ليس مساوٍ للآب في الوجود، إذ هو الابن الوحيد المولود؟!

أيعني أنه ليس مساوٍ للآب في الصفات والخصائص؟!

لو كانوا يريدون التسوية والتطابق بين الآب والابن.. كان الأولى أن يقول النص: "مساوٍ للآب في الجوهر والذات والوجود والقدرة والخلق وكل شيء.. بل هو آب"!

لكن القانون لن يتحمّل ذلك؛ لأن الآب خلق كل شيء، والابن كان الواسطة أو الوسيلة أو الكلمة في هذا الخلق.. بزعمهم!

ولو كانا متطابقين في كل شيء.. لماذا تتجه اللغة البشرية ابتداء لتسمية متطابقين بـ آب وابن؟ ولماذا يدعو العقل هذا آب إله، وهذا ابن رب وإله؟

ولعل المعنى المقصود لكلمة "مساوٍ للآب في الجوهر" أي في جوهر الذات الإلهية فقط، حيث يقوم توحيدهم في أن الآلهة ـ أو الأقانيم ـ الثلاث (الآب ـ الابن ـ الروح القدس) متساوية الجوهر ومن جوهر إلهي واحد، وهذا هو توحيدهم.. الذي هو عين الشِرك وتعدد الآلهة !

***

"الذي بواسطتهِ كانت كل الأشياء" وفي رواية أخرى "الذي به كان كل شيء"

في القسم الأول من القانون ـ في وصف الآب ـ قال: "قادر على كل شيء، وخالق السماء والأرض، كل الأشياء المرئية واللامرئية".. فحدد القدرة والخلق للآب.

وهذا النص يُحدد كيفية الخلق، إنه "بواسطة الابن" !

وهذا النص يطابق الفلسفة الإغريقية الوثنية السادة في هذا الوقت، والسابقة لهذا التصور بقرون..!

في الفلسفة الإغريقية وفي إجابة على سؤال:"كيف يمكن أن يَخرج الكثير ـ أي العاَلم ـ من الواحد؟ والمتغير من الذي لا يتغير؟ وإذا كان الله واحداً وحدة مطلقة كيف يمكن أن يخلق الكثرة المختلفة دون أن يقبل في ذاته أي كثرة بوجه من الوجوه؟ وإذا





كان كماله المطلق يقتضي عدم التغير، كيف نفهم في أنه وقت ما أوجد العالَم دون أن يلحقه أي تغير، مع أنه انتقل من حالة عدم العمل إلى العمل؟

فحل أفلاطون تلك المعضلة بالثلاثة أقانيم أو عقيدة التثليث، فكانت بالاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير، وجعل بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه، وخارجين عنه، وعلى نحو ما داخلين فيه أي تتضمنهما ذاته، صادرين عنه، دونه في الكمال، أول هذين الوسيطين: "العقل" أو "الابن - الكلمة"، وثانيها: "الروح الإلهية" أو "روح القدس".. وسيطين أزليين''![1]

والفرق بين "تثليث النصارى" و"تثليث أفلاطون" هو أن التثليث عند النصارى متساوي الجوهر. بينما عند أفلاطون "دون المنشئ الأزلي في الكمال" ! ويبدو تثليث أفلاطون أكثر منطقية من تثليث المسيحيين، لأن مسألة تساوي الكمال والقدرة والألوهية في "تثليث المسيحيين" يستحيل على العقل قبولها بأي صورة من الصور!

والنص يوضح كذلك أن "الآب خَلق كل شيء بواسطة الابن" وهنا يكون الآب أعلى درجة، أو هو الأكثر كمالاً.. فالآب - الذي توجهت إرادته من قبل لِيَلد الابن الوحيد المولود! - هو الذي توجهت إرادته لخلق كل شيء، والآب قادر على كل شيء. وأما الكيفية فكانت "بواسطة" الابن؛ أي الابن واسطة فقط لا تملك إرادة أو دونه في الإرادة !

(1) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة. راجع كذلك عقائد الديانة البوذية.



وهذا يُناقض بشدة نص: "إله حق" في وصف الابن! فالإله يملك القدرة المطلقة والخلق المطلق.. ويملك إرادة ومشيئة مطلقة، ولا يكون "واسطة" لإله آخر هو الآب!

ولهذا لما تحدث أفلاطون عن الوسيطين الأزليين "العقل أو الكلمة" و"الروح الإلهية" قال: "دون الله في الكمال، وصادرين عنه".. حتى يبدو أكثر منطقية! وهرب من تصوير الذات الإلهية وإدراكها بقوله: "وعلى نحو ما داخلين فيه.. أي تتضمنهما ذاته".. وهذا الهروب هو هروب العاجز عن تصور الذات الإلهية، فماذا يملك العقل المحدود بالزمان والمكان، والمخلوق الذي لم يكن شيئاً مذكورا؟! فأي عقل مهما بلغت قوته وإدراكه عاجز عجز كلي عن إدراك الذات الإلهية بأي صورة من الصور، وأي عقل خاض في ذلك وصل إلى: إما الشرك المتعدد أو الإلحاد أو كلهما معاً.

وهذا النص "الذي بـ واسطته كانت كل الأشياء" هو التأكيد الرابع على انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة، فالنصوص الثلاثة السابقة الدالة على ذلك هي: ["مولود **من** الآب" - "نور **من** نور" - "إله حق **من** إله حق"]..

كما أن هذا النص يُقلل من ألوهية الابن ويجعله واسطة للخلق فقط، بعد أن سبق القول عنه بأنه: "الرب الواحد، إله حق" !

***

"الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزلَ من السماوات وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنَّس، صُلِبَ من أجلنا على عهد بيلاطس البنطي"





نزل الابن من السماء، والابن الذي هو ـ حسب القانون ـ [رب واحد ـ إله حق ـ بواسطته كانت كل الأشياء].

نزل الابن من السماء إلى الأرض في مهمة محددة: "من أجلِ خلاصنا"

"وتجسّد من الرّوح القدس ومن مريم العذراء" و"تأنس"

أي أن الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنس ـ أي صار إنساناً ـ ولعل النص يقصد أنه: تجسد من الروح القدس. ومن مريم العذراء تأنس بدون حرف "الواو" في "**و**تأنس". لأن كلمة "وتأنس" لم تحدد كيفية تأنسه؟ هل تأنس بذاته؟ أم بواسطة مريم العذراء؟ أم بواسطة الروح القدس؟!

على أي حال النص يقول أن التجسد كان من "الروح القدس ومن مريم العذراء"، النص إذن يُفرق بين التجسد وبين التأنس ـ أي يكون إنساناً ـ والحقيقة أنا لا أعرف الفرق بينهما ! أيكون هناك مرحلة أسبق من مرحلة أي تجسد ثم تأنس؟!

يقول علماء اللاهوت: أن التجسد هو تجسد إلهي معناه: اتحاد تام بين الطبيعتين الإنسانية والإلهية! وهذا قول الأرثوذكس، وهذا سبب انفصال الكنائس الشرقية: (القبطيّة والأرمنيّة والسريانيّة) عن الكنيستين الرومانية والبيزنطيّة، بعد مجمع خلقيدونية سنة 451م، حين عاد جدال مجمع أفسس 431م حول هل للابن طبيعتين



إنسانية وإلهية بلا اختلاط ولا انفصال وهذا قول الكاثوليك، أم طبيعة واحدة وأقنوم واحد وهذا قول الأرثوذكس؟! [1]

ولكن ما هي الطبيعة الإنسانية؟ إننا لا نعرف عنها أي شيء سوى هذا الجسد، لكن روح الإنسان لا يعرف ولن يعرف عنها أحد من البشر أي شيء.

والطبيعة ـ الذات ـ الإلهية: لن يستطيع العقل أن يقول حرفاً واحداً عنها !

فكيف للعقل أن يتجرأ تلك الجرأة على الخوض في مجهول وغيب لن ينكشف له أبداً؟!

وهذا "الابن الإله" قبل نزوله إلى الأرض هو إله حق، ورب واحد ـ بحسب القانون ـ وإذ به يظهر على وجه هذه الأرض في صورة جسد إنسان، ولكن أوَليس هو الذي بواسطته كانت كل الأشياء.. أوَليس هو قادر على التجسد بذاته، دون "الحاجة" إلى الروح القدس ومريم العذراء؟!

أولم يكن "الله الابن" قادراً على أن يخلق لنفسه ـ أو الآب يخلق له ـ ذوات وأجساد متعددة ليأتي إلى عالم البشر؛ في هذه المهمة التي نزل من السماء إلى الأرض من أجلها؟!

أوليس (الابن الرب الإله) قائم بذاته، غير محتاج لغيره.. والكلُ مُحتاج إليه؟! ما الفرق إذن بين الإله والإنسان؟!

***

(1) تاريخ ابن البطريق. راجع خلاف المجامع المسكونية في طبيعة المسيح.

"ومن مريم العذراء" و"تأنس"

إذا قالوا: أن "الروح القدس" رب مُحيي، وذات جوهر إلهي مماثل للابن والآب.. أياً كانت طبيعة انبثاقه. فاحتياج الابن للروح القدس ليتجسد قد يبدو أهون من احتياجه "لمريم"! فالابن - حسب القانون - (رب واحد وإله)، والروح القدس رب مُحيي بنص القانون!

ولكن - ويا للهول - يحتاج إلى "مريم"!

فكيف (يحتاج) الابن الذي هو - حسب القانون -: [المساو للآب في الجوهر، وهو رب واحد وإله، وبواسطته كانت كل الأشياء] كيف يحتاج إلى مريم العذراء وهي مخلوقة "**بواسطته**"..! كيف يحتاج الابن لهذه المخلوقة مريم العذراء؛ حتى يصير إنساناً؟!!

يقولون عن مريم في خلاصة مجمع أفسس 431م: أنها ولدت الاثنين "الإنسان والإله" والمسيح اجتمع فيه الإنسان والإله.. فمريم هي: أُم الله - والدة الإله[1]. أي أن المسيح وهو في رحم مريم كان يحمل الطبيعتين الإنسانية والإلهية. فمريم ليست أُم جسده فقط، بل ولدت ابن الله المتجسد! وليس مجرد إنسان.

أي أن الذي نزل إلى الأرض، وتجسد ووُلد من رحم مريم.. هو "الله الابن"!!

(1) تاريخ ابن البطريق. راجع مجمع أفسس، وأسباب انعقاده وقراراته.



"الله الابن".. الذي هو ـ بحسب القانون ـ [رب واحد ـ إله حق ـ بواسطته كانت كل الأشياء] حدثت له ولادتين:

الأولى: مجهولة الكيفية.. "مولود من الآب.. مولود غير مخلوق" !

الثانية: معلومة الكيفية.. "مولود من رحم المخلوقة بواسطة الابن مريم العذراء"!!

ولكن هذه المرة "مولود من مريم **ومخلوق**" فلم يستطع القانون أن يقول في هذه الولادة: "مولود من مريم غير مخلوق"!!

"الله الابن" الأقنوم الثاني من اللاهوت ـ حسب القانون ـ نزل إلى الأرض ليستقر في رحم مريم ليصير إنساناً !!

وصارت تلك "المخلوقة بواسطة الابن" مريم العذراء.. هي: "والدة الإله ـ أُم الإله" !.. أي أن المخلوقة بواسطة الله الابن.. صارت هي أم الله الابن !!

أي أن الإنسان.. حَمَل الله !!

كيف يدخل "الله الابن" في رحم امرأة مخلوقة بشرية.. ليتجسد أو يتأنس؟!

كيف لهذه المخلوقة البشرية أن تتحمل طبيعة وذات "الله الابن" داخل رحمها؟!

كيف لهذه المخلوقة البشرية أن تُرضع "الله الابن"؟!

ما حاجة "الله الابن" أصلاً ليصير إنساناً أن يدخل رحم امرأة، ويصير رضيعاً وطفلاً وكهلاً؟!





أوَلَم يكن "الله الابن" قادراً عن أن يكون إنساناً بمجرد الكلمة؟! أُريد أن أكون إنساناً فيصير إنساناً كاملاً لحظة إرادته.. أوَليس هو الله؟!

أَحاول أن يكون رحيماً بعقول البشر وإدراكهم.. فأراد أن يمر بالمراحل الطبيعية لخلق الإنسان؟

وكيف إذن لعقول البشر أن تفهم أن "الله الابن" دخل أو حَلّ في رحم مريم، وحملته مريم الإنسانة؟! أو أن المخلوقة - بواسطة الله الابن "مريم" - صارت هي أم الله الابن؟!!!

وهنا لم يتحمّل عقل "نسطور" بطريرك الكنيسة القسطنطينية وقتها هذا المعنى وقال: (لن أدعو أبداً طفلاً عمره شهرين أو ثلاثة "الله").. ولكنهم لعنوا نسطور في مجمع أفسس 431 م، وأكد المجمع أن مريم والدة الإله ..!![1]

وأخيراً.. وجد الله الابن.. الابن الوحيد المولود من الآب.. أخيراً وجد له أماً بشرية.. أم الإله !! ويا تُرى تلك الأم التي حملّت وولدت الله الابن المتجسد.. هل ظلت بعدُ مثلنا نحن البشر، أم صارت إله؟!.. في الكاثوليكية يعبدونها ويعتقدون أنها تغفر الذنوب![2]

ويقول الأرثوذكس: "مريم العذراء هي الإنسانة الوحيدة التي انتظر الله آلاف السنين حتى وجدها ورآها مستحقة لهذا الشرف العظيم.. التجسد الإلهي" ![3]

(1) راجع المجامع المسكونية وقرارتها - تاريخ ابن البطريق.
(2) كتاب اللاهوت المريمي للأب أوغسطين. كتاب العذراء مريم - للأنبا غريغوريوس.
(3)عقيدة مريم العذراء عبر الأجيال - موقع كنيسة الأنبا تكلا.



هذا بهتان عظيم.. آلله "انتظر" آلاف السنين؟! أي عقل يتجرأ أن يتلفظ بهذا القول؟!

آلله ينتظر؟! ماذا يظن هؤلاء البشر عن الله؟ وأي إله هذا الذي ينتظر، وينتظر آلاف السنين! أوَلا يعلم الغيب؟ أوَلا يعلم ما ومن خلق؟ أوَليس قادراً على خلق ما يشاء وقتما يشاء بالكيفية التي يشاء؟!!

يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب مُنير.

على أي حال.. نُكمل.

ماذا يُمثل "الله الابن" الآن؟

فلم يعد الابن منذ تلك الولادة مساوٍ للآب في الجوهر، لقد تجسد واتحدت الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية ـ سواء صارت أقنوماً واحداً أم طبيعتين! ـ ووُلد من رحم مريم، وهو بهذه الحالة الجديدة.. لم يَعد بعدُ مساوٍ للآب ولا حتى للروح القدس؟! فصار للابن أماً بشرية؟ والآب والروح القدس ليسا لهما أم؟

كما أنه لا يشترك معنا نحن البشر في أي شيء على الإطلاق.. فهو ـ بحسب القانون ـ (رب ـ إله ـ بواسطته كانت كل الأشياء ـ تجسد وتأنس ـ وأصبح له أماً، هي أم الإله وولدته بلا أب) فمن منا نحن البشر يشترك معه في أي صفة من صفاته ؟!

والله الابن وهو على الأرض متجسد بصورة البشر، أي الأرواح كان يحمل؟!.. هل كان يحمل روح مثلنا نحن البشر؟ أم يحمل روح إلهية؟ أم يحمل روحين؟!!





يُقحم العقل نفسه ويتجرأ أن يتكلم عن ذات الله، وهو لا يعرف نفسه التي بين جنبيه.. يتجرأ وهو مخلوق أتى عليه حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا !

وقبل أن نغادر هذا النص: "وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء. وتأنس"، أُلفت انتباه القارئ إلى أن هذا هو النص الخامس للتأكيد عن انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة، النصوص الأربعة السابقة: ["مولود **من** الآب" ـ "نور **من** نور" ـ "إله حق **من** إله حق" ـ "الذي **بـ** واسطته كانت كل الأشياء"].

وهو كذلك النص الأول في استحالة اتحاد تلك الأقانيم "إله واحد في ثالوث"، لأن الإله الواحد (الآب ـ الابن ـ الروح القدس) لم يَحلّوا مُجتمعين في رحم المخلوقة مريم، بل حل الابن وحده! وصار له أماً. كما أن الروح القدس انفصل هو الآخر عن الإله الواحد المثلث الأقانيم (الآب ـ الابن ـ الروح القدس) ليشارك في عملية تجسد الابن مع المخلوقة مريم !

***

"الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا.... صُلِبَ من أجلنا على عهد بيلاطس البنطي"

هذا قانون بمعنى سبب ونتيجة، شرط وتحقيق الشرط.. مثل أن تقول: "من أجل أن تذهب إلى المدرسة.. لابد أن تسير على قدميك" هذا قانون: "من أجل تحقيق..... لابد أن......".



"**صُلب من أجلنا** أو ''**عنا**'' كما في أقوال أخرى".. (سبب أو شرط) ؛ "**من أجل خلاصنا**".. (نتيجة).

وبكل وضوح أسأل:

مَن الذي وضع هذا القانون؟!

وكيف يَقبل الابن الذي هو ـ حسب القانون ـ [رب واحد ـ إله ـ المساو للآب في الجوهر] أن يُوضع له قانوناً.. أياً كان هذا القانون؟!

وكيف يكون هذا القانون هو موته على الصليب؟!

ثم فوق كل هذا مات على الصليب؛ من أجل خطيئة ارتكبها أحد المخلوقات اسمه "آدم"! وآدم هذا ـ بحسب القانون ـ إنما خُلق ـ هو وغيره ـ بواسطة الابن؟!!

الآب هو الذي وضع قانون الخلاص؟!

أضحى بابنه الوحيد من أجل نفاذ ذاك القانون: "من أجل خلاص آدم وذريته.. يُصلب "الابن الوحيد" على فعل لم يرتكبه؟!

أين هي "إرادة الابن" أو "الآب" ليقول ـ بكل بساطة ـ غَفرتُ لهذا المخلوق صاحب الخطيئة الأصلية.. فأنا أملك قرار العفو والمغفرة بلا قيد أو شرط، حر الإرادة والقرار؟!

ألم يكن في استطاعة الآب تغيير قانون الخلاص هذا؟



أو تغفر الآلهة دون صلب الابن الوحيد، أو دون صلب آدم وذريته؟!

هل هناك قوة أكبر من الآب اجبرته على إعمال وإنفاذ قانون الخلاص؟!

أَوَيُعقل أن الآب وضع قانون الخلاص، وألزم به نفسه؟!

ولو كان ألزم نفسه بقانون وضعه، أوَلم يكن يعلم الغيب من أن هذا المخلوق "آدم" سيرتكب خطيئة، تستوجب "صلب ابنه الوحيد.. وهو ـ حسب القانون ـ رب واحد وإله" أيهما أولى: الابن الوحيد، أم المخلوق "آدم"؟!

لمَ خَلق الآب هذا المخلوق "آدم" الذي بذنبه سيُضحي بابنه الوحيد (الرب الإله المساو للآب في الجوهر) ؟ وكيف يتساوى الإله بالمخلوق؟! بل ويتفوق المخلوق على الإله الابن الرب يسوع؟!

ثم إن هذا القانون هو القانون الوحيد الذي أُستخدم مرة واحدة فقط، وكانت من نصيب الابن الوحيد المولود من الآب، وكأنه وحده هو المقصود بهذا القانون.. ما تفسير ذلك؟ إن أي قانون إنما يُوضع للجميع، ويساوي بين الجميع؟!

وإذا كان الله الآب خَلق مخلوق اسمه "آدم" بواسطة الابن "الذي بواسطته كانت كل الأشياء" والروح القدس: هو "الرب المُحيي".. ألا تلاحظ أن الابن لم "يختار " أن يخلق هذا المخلوق "آدم"، وصارت في هذا المخلوق الحياة بواسطة "الروح القدس"، بمعنى أن "الابن" كان واسطة لخلق آدم.. فبأي ذنب يُصلب؟ وما هي جريمته؟

إن الآب هو الذي اتجهت إرادته لخلق "آدم" والروح القدس بث فيه "الحياة".. فما للابن بهذا المخلوق سوى الكلمة !

لِمَ تحملها الآبن وحده؟ ثم هم ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر.. أوَليس لهذا الجوهر قيمة ليتحمل كل أقنوم نصيبه من الخطيئة الأصلية للمخلوق آدم؟! فيُظلم الابن وهو ـ حسب القانون ـ [رب واحد وإله] ويكون نصيبه تَحمّل خطيئة هذا المخلوق وحده!

***

لنتأمل من زاوية أخرى نص قانون الخلاص: "**ومن أجل خلاصنا.... صُلِبَ من أجلنا**"..

يتحدث النص ضمناً عن "الخطيئة الأصلية لآدم والتي لحقت ذريته من بعده"..

ولا ندري من الذي وضع هذا التقسيم للخطايا: "خطيئة أصلية موروثة لكل البشر" و"خطيئة خاصة بكل مخلوق من البشر"؟

وهل كان يمكن إدخال تعديل عن هذا التقسيم بحيث يكون:

"كل الخطايا خطايا خاصة بمن ارتكبها، ويتحمل ذنبها وحده المرتكب، وليس هناك خطيئة أصلية"..

أو "كل الخطايا خطايا خاصة بمن ارتكبها، عدا "آدم" فله خطيئة خاصة تستوجب خلاصاً خاصاً به، فيصلب نفسه مثلاً"..





أو "الخطايا الأصلية خلاصها مرة واحدة، يُغفر فيها للجميع بالجملة مرة واحدة، بصلب آدم أو بصلب آخر مخلوق من البشر"..

مَن وضع هذا التقسيم: أهو الآب أَم الابن أَم الروح القدس؟ أَم الثلاثة أقانيم مجتمعة؟ أَم قوة قاهرة أجبرت الجميع على هذا التقسيم للخطايا، مثلما أجبرت الابن على الصلب من أجل خلاص مخلوق؟!!

ثم.. علينا أن نسأل أيضاً من الذي جعل خطيئة آدم "خطيئة أصلية" تنتقل إلى ذريته من بعده وتظل عالقة بهم؟ لماذا لم يتدخل الآب أو الابن أو الروح القدس أو الثلاثة أقانيم معاً لتغيير هذا "الشرط"، وإلغاء عملية انتقال "الخطيئة الأصلية" كرماً منهم وحناناً بهذا المخلوق، أو حباً ورحمة بذرية آدم من بعده، أو أمر إلهي مباشر مجرد دون إبداء أسباب.. بالمغفرة للجميع لحظة نزول آدم للأرض، حتى على الأقل تقديراً للابن (الرب الواحد ـ الإله يسوع المسيح)؟!

وهل والدة الإله أو الإنسان مريم العذراء.. كانت "بالخطيئة الأصلية" وهي تلد "الإله يسوع المسيح"؟! في الكاثوليكية بلا خطيئة أصلية، وفي الأرثوذكس بالخطيئة الأصلية !

ولما وُلد جسد يسوع المسيح من مريم وصار إنساناً.. انتقلت "الخطيئة الأصلية" لهذا الجسد؟

وهل هذه الخطيئة الأصلية تنتقل عبر الجينات الوراثية أم عن طريق نفخة الروح؟!





إنها حسب منطق "عقيدة الصلب والفداء" يُفترض أنها انتقلت عن طريق نفخة الروح.. لأن يسوع المسيح الإنسان وُلد من مريم العذراء بلا أب، وبالتالي تكون الخطيئة الأصلية في نفخة الروح. ونفخة الروح هذه مُوكل إليها "الروح القدس".. أي أن الروح القدس هو الذي يحمل "الخطيئة الأصلية" ويُورثها لبني آدم !!

كما لا يمكن أن نتخيل أن يسوع المسيح الإنسان المولود من مريم العذراء.. بلا خطيئة أصلية، وإلا فسيصبح الصلب والفداء بلا قيمة أو هدف !

فمنطق الصلب والفداء قائم على أن هناك خطيئة أصلية ملعونة أصابت بني البشر، ولا بد من مُخلص، وهذا المُخلص يجب أن يموت على الصليب.. فكيف يذهب إلى الصليب وهو لا يحمل هذا الشر "الخطيئة الأصلية"؟! حتماً لا بد أن يكون "يسوع المسيح الإنسان والإله في نفس الوقت" - حسب القانون - يحمل تلك الخطيئة الأصلية، حتى إذا مات على الصليب تحقق "قانون الخلاص" وغُفرت الخطيئة..!

وإلا.. لو فرضنا أن "يسوع المسيح الإنسان" بلا خطيئة أصلية، فما قيمة أن يُأتى به ليموت هو على الصليب.. وهو من الخطيئة الأصلية بريء ! من تَحّمل "شر الخطيئة الأصلية" هو يسوع المسيح.. ومنطقياً لا بد أن يحملها حتى يتحقق الخلاص عن طريق الصلب..!

هذا ما يبدو منطقياً، لكن بالعودة إلى "القوة القاهرة" و"الإرادة المجهولة" التي جعلت قانون الخلاص بهذه الصورة التي اشترطت فيها اشترطت من قبل: أن تكون





هذه صورة الخلاص الوحيدة، وصورة المغفرة الوحيدة. وأن تتم في هذا التوقيت تحديداً من حياة البشر. واشترطت أن ينزل الابن الوحيد الرب الإله..

أكذلك اشترطت أن يكون المصلوب بلا خطيئة أصلية؟!

ولكن كيف وهو إنسان تام.. والخطيئة الأصلية قبل صَلبه تجري في كيان الإنسان؟! هناك احتمالان لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول: إما أن يسوع المسيح الإنسان يحمل الخطيئة الأصلية وذهب للصليب؛ لتحقيق الخلاص والفداء.. وبصَلبه تطهر الكيان البشري من الخطيئة! وهذا ما سبق شرحه.

والاحتمال الثاني: أن يسوع المسيح الإنسان هو الوحيد المولود بلا خطيئة أصلية، وقُدّم على الصليب قُرباناً للآلهة ! لمغفرة خطيئة المخلوق بواسطته آدم؛ ليتحقق الخلاص والفداء.. !!

***

ثم كيف تحقق الخلاص، وتوقفت الخطيئة الأصلية عن الانتقال لذرية آدم؟!

هل تغيّرت الجينات الوراثية، أم تغيرت نفخة الروح.. لم يذكر أحد شيء عن التغير الحادث لبني البشر، جراء الفداء والخلاص الذي تم بصَلب الابن!

وبعد الصلب انتهى انتقال "الخطيئة الأصلية" عبر الأجيال؟!





وماذا عن الأجيال التي كانت قبل صلب الابن (الرب الإله)؟!! إن هذه الأجيال السابقة لوقت صلب يسوع المسيح.. لم تكن تعرف بأمر الخطيئة الأصلية؟ ولو كانت تعرف ماذا عساها أن تفعل.. ولا يُوجد مُخلص سوى يسوع المسيح؟! ما ذنبها؟ أيكون يسوع المسيح أو "الإرادة القاهرة" التي اختارت توقيت الصلب، والخلاص والفداء.. فضلّت بشر على بشر، وجيل من الأجيال على باقي الأجيال قبله؟!

منطقياً يُفترض أن يكون توقيت الخلاص والفداء، إما أن يكون في بداية عهد البشرية الأول على الأرض وقت نزول آدم، أو بنهاية عهد البشرية وانتهاء الحياة على الأرض !

لماذا انتظر "الخلاص والغفران والصلب" كل هذه الفترة من التاريخ، فالتاريخ قبله بكثير، وبعده بكثير؟! لماذا لم يُصلب المسيح في عهد البشرية الأول عندما نزل آدم إلى الأرض؟! أو العكس لماذا لم تتم عملية "الفداء والصلب" بنهاية عهد البشرية فيُفدي الجميع مرة واحدة؟! لماذا تمت في هذه الفترة تحديداً؟! أهناك "قوة أخرى" أو "إرادة أخرى" أو "قانون آخر" قال إنه يجب أن تكون في هذه الفترة على هذه الطريقة، فضُحي بالابن الوحيد (الرب الإله) ـ حسب القانون ـ بذنب غيره من البشر (المخلوقين)؟!

يقول الأرثوذكس: "إن الله (انتظر) آلاف السنين حتى وجد مريم"[1] !! أي والله هكذا يقولون.. انتظر، وانتظر آلاف السنين.. إله ينتظر.. إله لا يعلم الغيب.. إله لا يعلم من خَلق ! كَبُرت كلمة تخرج من أفواههم.

(1) عقيدة مريم العذراء عبر الأجيال ـ موقع كنيسة الأنبا تكلا.





ثم.. عند الحديث عن "الخلاص من الخطيئة الأصلية والغفران" علينا أن نُحدد أولاً مَن ذا الذي سيغفر لنا الخطيئة الأصلية، ويُمحوها عنا..

هناك أربع احتمالات ـ حسب القانون ـ فقط لا غير:

"الآب": الذي خلق السماء والأرض، وكل الأشياء المرئية واللامرئية.

"الابن": المولود من الآب، إله حق، رب واحد، بواسطته كل الأشياء.

"الروح القدس": الرب الذي جسد يسوع المسيح، وهو الرب المُحيي.

"الثلاثة أقانيم": معاً بإرادة واحدة.

وكلها "يسوع المسيح" موجود فيهم أو فيه بصورة أو بأخرى !

والسؤال هنا: طالما أن هذه الاحتمالات الأربعة "يسوع المسيح" فيها، لماذا يُضحي بنفسه؛ ليغفر لنا؟

أَوَلا يملك أن يغفر دون أن يُضحي بنفسه أو بجسده أو بصورته أو بأي شيء خاص به؟!

هنا إله جديد يظهر، وهو ـ حسب مُقدماتهم ـ أحق الآلهة بالعبادة..!

إنها "القوة" أو "القانون" الذي أرغم "يسوع المسيح" بكل خصائصه المذكورة في قانون الإيمان أن يُضحي بنفسه؛ لتُغفر الخطايا !



السؤال مرة أخرى:

كيف الإله الذي خَلقنا، يُضحي بابنه الوحيد أو يُضحي بنفسه ـ إن كان هو الإله ـ أو يضحي بجزء من نفسه ـ إن كان هو أحد الأقانيم ـ كيف له ـ في أي حال من هذه الأحوال الثلاثة ـ أن "يُضحي هو" لـ "يغفر" ذنب بشر خلقهم؟!

فأي "قانون" أو "إرادة" أو "قوة" أخضعت وأجبرت الإله ليضحي بنفسه أو بابنه أو بأقنوم منه، ليغفر هو نفسه لخَلْقِه؟!

أيُعقل أن الله الذي خلق آدم، لم يكن يعرف أن آدم سيقع في الخطيئة، واضطر أن يُضحي بابنه الوحيد؟!

أَيُعقل أن الله أراد أن يعلمنا "التضحية" فضحى بابنه الوحيد؟ إذن وبناء على هذه الفكرة، لماذا لم يُجسد الروح القدس الابن مرة أخرى ليُعلمنا دروساً جديدة غير "التضحية"؟!

***

ثم إن يسوع المسيح بهذه الصورة لا يبدو مثلنا نحن البشر.. فهو ـ حسب القانون ـ الابن الوحيد المخلوق من الآب قبل كل الدهور، وهو رب وإله، وهو الذي بواسطته كانت كل الأشياء، وهو نور من نور، إله حق من إله حق.. فلما تَقرر نزوله إلى الأرض.. تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، ثم صار إنساناً من مريم العذراء، دون وجود زوج لمريم من البشر..





وسواء اتحد اللاهوت بالناسوت أو لم يتحد، أو كان طبيعة واحدة أو طبيعتين.. كلها أشياء يتفرّد بها وحده.. إذن هو ليس مثلنا نحن البشر، ولا يُوجد أحد من البشر مثله ! إذن هو ليس قدوة لنا نحن البشر، لأن القدوة والمثال للبشر يجب حتماً أن تكون من البشر.. قدوة لها نفس طبائعهم، ونفس خَلّقِهم، ونفس ضعفهم، ونفس شهواتهم، ونفس تكونيهم النفسي والعضوي.. !

وبالتالي، يمكننا أن ننظر إلى عملية الصلب على أنها شيء عادي سهل على الابن الإله؛ لا يستحق كل هذا الاهتمام، سواء بعملية الصلب أو بالصليب نفسه، وليست كما نتصورها نحن البشر من العذابات والآلام والتضحيات..

فالذي صُلب يقيناً لم يكن ـ حسب قانون الإيمان ـ يشترك معنا نحن البشر في أي شيء، لا في خصائصه، ولا في تكوينه، ولا في ذاته، ولا في ولادته قبل كل الدهور، ولا في تَجسُده من الروح القدس، ولا حتى حينما صار إنساناً ! فأين موطن المثال للبشر؟!

وقبل أن نغادر هذا النص أُذكر القارئ بأن: "من أجل خلاصنا.. صُلب من أجلنا" هو النص السادس للتأكيد على انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة، النصوص الخامسة السابقة: ["مولود **من** الآب" ـ "نور **من** نور" ـ "إله حق **من** إله حق" ـ "الذي **بـ** واسطته كانت كل الأشياء" ـ "**وتجسّد من** الرّوح القدس و**من** مريم العذراء" و"**تأنس**"]..



وهو كذلك النص الثاني في استحالة اتحاد تلك الأقانيم "إله واحد في ثالوث"، لأن الإله الواحد (الآب ـ الابن ـ الروح القدس) لم يُصلبوا، بل صُلب الابن وحده ! ولم يُصلب الآب ولا الروح القدس ولا الثلاثة أقانيم معاً !!

***

"تألَّم وقُبر وقام في اليوم الثالث بحسب الكتب"

(تألم وقُبر).. يبدو من هذا النص الرغبة في التأكيد على الطبيعة الإنسانية للابن الإله.. فهو كما يقولون: إنسان تام، إله تام.. وهذا الابن الإله ـ حسب القانون ـ نور من نور، مولود من الآب قبل كل الدهور، مساو للآب في الجوهر، إنسان تام، إله تام.. لا يشترك معنا نحن البشر في أي شيء، حتى ولو قلنا أنه (تألم ـ وقُبر) فلربما هذه أحوال ذات طبيعة خاصة بهذا "الابن الإله" المتفرّد في خصائصه عن كل البشر، بل يبدو ـ كما يُبيّن قانون الإيمان ـ أنه متفرّد عن الآب والروح القدس، حتى ولو تساوى الجوهر بينهم جميعاً !

وعلى هذا التفرّد في عالم البشر والآلهة.. يجعلنا ننظر إلى (التألم والقبر) نظرة تَفرّد كذلك، فـ "ابن رب إله" بهذا التَفرّد.. يستحيل أن نقول أنه تألم ألم البشر العاديين، أو مات موت البشر العاديين. فلربما ـ وهو بهذا التَفرّد ـ كان الألم له لذة.. والموت نزهة.. والقبر تسلية، أو أشياء أخرى لا نعلمها نحن!.. فهو على صورته هذه ـ وبنص قانون الإيمان ـ يستحيل أن يشترك مع البشر في أي خصائص، حتى ولو كان إنسان تام وإله

تام، فإضافة "إله تام" لوصفه.. تُلغي أي اعتبار بالنظر له كباقي البشر بنفس خصائص البشر.

وعلى هذا الاعتبار الأكثر منطقية بتَفرّده عن الجميع.. لن نناقش، كيف يتركه الآب يتألم، وهو الابن الوحيد؟ أوَلا يكفي الصلب؟!

لن نناقش كذلك كيف يموت؟ وكيف يترك الروح القدس ـ الرب المُحيي، وأقنوم من الأقانيم ـ الابن الذي به أو على يديه صار كل شيء؟

ولكننا سنناقش: كيف يدخل جسد الابن.. "الإله التام الإنسان التام" القبر ثلاثة أيام.. أهي مرة أخرى عودة لـ "القوة القاهرة" و"الإرادة المجهولة".. التي صاغت "قانون الخلاص" فكان هذا هو الشرط الأخير، ولنتذكر تلك الشروط مرة ثانية:

قانون الخلاص: "من أجل خلاصنا؛ صُلب من أجلنا".. وهذه هي الشروط بالترتيب حسب ما وردت في قانون الإيمان:

1- نزل الابن من السماء، ثم..

2- تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس.. ثم..

3- ثم تحديد توقيت الصلب على عهد "بيلاطس البنطي"، ثم..

4- الصلب نفسه..

ولم يكف تلك "القوة القاهرة" التي اشترطت كل هذه الشروط على الابن الوحيد الإله؛ حتى يتم الخلاص والفداء للمخلوقين الذين بواسطته خُلقوا!!

لم يكف تلك "القوة القاسية" بكل هذا، لكنها ـ كما يبدو ـ أرادت التأكيد على (الألم أولاً ثم الموت ثانياً ثم القبر ثالثاً) فكان هذا هو الشرط الخامس !

أوَلم يكن يكفيها الألم للابن الإله ـ الذي بواسطته كانت كل الأشياء ـ ألم يكفيها الألم وهو على الصليب؟!

لا..

بل أرادت "الموت"..! حتى يبلغ الألم منتهاه!

ولقد كان يكفي الموت.. فهكذا تحقق قانون الخلاص؛ ومات الابن الإله الوحيد على الصليب، ولكنه "القبر" بكل ما تحمله الكلمة من معنى كلمة "قبر"!

هل كانت تلك القوة قاصدة قهر الابن الإله بهذه الطريقة؟! فأرادت أن تَقبره.. ثم لم تكتف بدخوله مرة وخروجه.. لم تكتف بيوم واحد، ولا يومين، لا.. بل ثلاثة أيام !!

مازلتُ أقول ـ وبحسب قانون الإيمان ـ أن تلك "القوة المجهولة" التي قهرت الابن بهذه الطريقة، وهو ـ بزعمهم ـ ابن ورب وإله.. هي المستحقة للعبادة، وهي المستحقة للخضوع، وهي ـ كما يبدو ـ أقوى من كل شيء!

ونستحضر هنا نص: "**الذي بواسطته كانت كل الأشياء**" مع هذا النص: "**تألم وقُبر وقام في اليوم الثالث**"..

بواسطة الابن كانت كل الأشياء.. هل فقط ما كان من أشياء؟ أَم كل الأشياء وما سيُوجد في هذا الوجود من أشياء مرئية وغير مرئية؟

"كانت كل الأشياء" حديث عن الماضي، والأولى أن يقولوا: بواسطته تكون كل الأشياء.. "تكون" فعل مستمر لا ينقطع. ولعل يكون القصد كذلك، وعليه فتكون الأشياء غير المرئية كالألم والعذاب خُلقت بواسطة الابن، وبالتالي الابن لا يتأثر بها، ولا يخضع لقانونها في العذاب، ولكن ليس هذا موطن المناقشة هنا..

السؤال هنا: الابن عندما تألم وقُبر وبقي في القبر ثلاثة أيام، من كان المسؤول عن القيام بشؤون العوالم المرئية واللامرئية، أوَليس بواسطته كانت كل الأشياء؟

هل توقفت الحياة ثلاثة أيام؟!

أَم قام الآب بوظائف الابن الكلمة؟!

أَم اتخذ الآب كلمة غير الابن، حتى يعود الابن؟!

أَم وَلد الآب ابن جديد.. مولود غير مخلوق؟!!

أَم تولى الروح القدس مهام الابن، حتى يقوم من قبره؟!

وقبل أن نغادر هذا النص أُذكر القارئ بأن: "تألَّم وقبر وقام" هو النص الثالث في استحالة اتحاد تلك الأقانيم.. النصين السابقين: [تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس ـ صُلب من أجلنا] فالذي "تألم وقُبر وقام" هو الابن وحده، وليس الآب ولا الروح القدس، ولا الثلاثة أقانيم معاً !!

***



"وصعدَ إلى السماوات"

وهكذا، صعد الابن إلى السماء، بعدما نزل إلى الأرض من أجل الفداء والخلاص.. وانتهت مهمته، وتمت كل شروط "قانون الخلاص". ونحن الآن في السماء...

وهذا هو النص السابع للتأكيد على انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة، النصوص السادسة السابقة: ["مولود **من** الآب" - "نور **من** نور" - "إله حق **من** إله حق" - "الذي **بـ** واسطته كانت كل الأشياء" - "**وتجسّد من** الرّوح القدس و**من** مريم العذراء" و"**تأنس**" -**صُلب** من أجلنا]..

وهو كذلك النص الرابع على استحالة اتحاد تلك الأقانيم، النصوص الثلاثة السابقة: [تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس - صُلب من أجلنا - تألم وقُبر وقام] والذي صعد إلى السماوات هو الابن وحده، وليس الآب ولا الروح القدس ولا الثلاثة أقانيم!!

***

"وهو جالسٌ عن يمين الآب" وفي قول آخر: "وجلس عن يمين أبيه"

أُشير أولاً إلى أن بعض النصوص أحياناً تقول "الآب" وأحياناً أخرى تقول "الأب" والترجمة الإنجليزية للنص تستخدم لفظ "الأب - Father"..

وأنا أرى فرق لغوي بين الأب والآب.. الأب: كما يعرفها العقل أب وابن، صلة نسب، مسميات أفراد الأسرة والعائلة؛ هذا أب، وهذه أم، وذاك ابن.. الخ. أم الآب:





فأصلها سريانية، دخلت اللغة العربية بمعنى الأصل أو الأساس، فهي تعني "المانح الحياة"[1]. فالآب لم تدخل اللغة العربية بمعنى كلمة "الأب"؛ لذا لا يصح الخلط بينهما.

وفي تعريف الابن ـ حسب القانون ـ : أنه "مولود من الآب.. مولود غير مخلوق" وبهذه الولادة أياً كانت طبيعتها.. صار هو الابن، والآب "المانح الحياة" ممكن أن تعني أنه منح الابن الحياة، أياً كانت طريقة المنح هذه !

وعلى هذا قد يكون المعنى:

أنه (الآب) قبل ولادة الابن غير المخلوق ! وأن الآب أصبح هو (الأب) بعد ولادة الابن! وأنه أصبح بعد ولادة الابن.. يُلقب بـ "الأب" وبـ "الآب"!

ولابد أن يكون هناك (قبل وبعد) لأنني كما قلت سابقاً (الولادة) حَدث، وحالة.. انتقلت من العدم إلى الوجود.. أياً كانت طبيعة تلك الولادة، ويستحيل فهم النص إلا على هذه الصورة، وإذا قِيل أن عقول البشر عاجزة عن فهم تلك الولادة، فالأحرى لها أن تصمت من الأساس ولا تتكلم.. ولكن متى تكلمت وخطّت أيدي البشر كلاماً فمن حق عقول البشر أن تفهم وتسأل كيفما تشاء !

***

(1) قاموس المصطلحات الكنسية ـ موقع كنيسة الأنبا تكلا.





"وهو جالس عن يمين الآب"

وهذا النص لم يكن في قانون نيقية سنة 325م، بل أُضيف سنة 381م في نص قانون الإيمان القسطنطيني..

فكان النص في قانون إيمان نيقية: "صعدَ إلى السماوات، آتٍ ليدين الأحياء والأموات". ثم جرى تعديله سنة 381م في قانون الإيمان القسطنطيني إلى: "صعدَ إلى السماوات، وهو جالسٌ عن يمين الآب..." ورغم أن الغرض الرئيسي من مجمع 381 م كان للحديث عن "الروح القدس" إلا أنه تمت تلك الإضافة: "وهو جالسٌ عن يمين الآب" وبالتالي كان لها غرض مقصود، ومعنى أصيل.

وإذا كانت كلمة "جالس" بمعنى استقر كما يفسرها علماء اللاهوت، وعن "يمين الآب": تعني القوة والنعمة والبركة.. إلا أنها كذلك محاولة فاشلة ككل محاولاتهم للهروب من الشِرك الذي يطاردهم في كل لفظ ومعنى، وهذا هو السبب الرئيس في الحيرة والاضطراب الذي يصيب العقل البشري جراء محاولة فهم هذه العقيدة المتضادة، وهذا الذي جعلها طلاسم لا تُفهم؛ لأنهم يحاولون محاولة مستحيلة في الجمع بين التوحيد والشرك.. محاولة لن يستطيعها أحد ولو كان الإنس والجن بعضهم لبعضٍ ظهيرا.

وهذا هو النص الثامن للتأكيد على انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة، النصوص السادسة السابقة: ["مولود **من** الآب" - "نور **من** نور" - "إله حق





من إله حق" ـ "الذي **بـ** واسطته كانت كل الأشياء" ـ "**وتجسّد من** الرّوح القدس و**من** مريم العذراء" و"**تأنس**" ـ "**صُلب** من أجلنا" ـ "**صعد** إلى السماوات"]..

وهو كذلك النص الخامس على استحالة اتحاد تلك الأقانيم، النصوص الأربعة السابقة: ["تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس" ـ "صُلب من أجلنا" ـ "تألم وقُبر وقام" ـ "صعد إلى السماوات"] فالذي "جالس" هو الابن، وليس الروح القدس، ولا الثلاثة أقانيم.

فأياً كان معنى (جالس وعن يمين) فهو ذات مستقلة استقلالاً تاماً عن الآب.. وله إرادة تامة، أو خضعت تحت إرادة أخرى، فهو "جالسٌ" إما بإرادته الحرة المستقلة بالرغبة في الجلوس أو الاستقرار أو بالمحبة أو في الحكم والتدبير، أو بإرادة أخرى كالآب مثلاً قربته وأجلسته.. والابن لها طائع وخاضع !

ذوات منفصلة، بل ومتحركة عن بعضها البعض، فهذا ابن.. ذات مستقلة، وذاك آب.. ذات مستقلة، وهناك حركة بينهما هذا يذهب، وذاك يأتي وينزل ويصعد ويجلس! ولا يعني أنهم من جوهر واحد أو من مادة إلهية واحدة.. أنهم إله واحد ! بعد كل هذا الفصل، وكل هذه الحركة !





" آتٍ ثانية في المجد؛ ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناءَ لمُلكهِ"

هذا هو نص قانون الإيمان القسطنطيني سنة 381م، أما النص النيقاوي سنة 325م كان فقط: "آتٍ ليدين الأحياء والأموات" بدون "آت ثانية" وبدون "الذي لا فناء لمُلكهِ":

والنص القسطنطيني هو النص النهائي، وعليه تكون المناقشة..

"آت ثانية في المجد"

هذه إضافة جديدة على نص القانون النيقاوي، وبالتالي لها معنى ومغزى أصيل. "آتٍ ثانية".. فما هي المرة الأولى التي أتى فيها الابن؟!

إنه يقصد الإتيان الأول الذي كان في الأرض! ولكنه صُلب.. وتألم وقُبر، فأتى المرة الأولى في الألم والفداء، والمرة الثانية للإتيان ستكون في المجد.. لا ألم ولا صلب، كما يُبين ظاهر المعنى.

إذن الابن آتٍ.. وآتٍ هذه المرة في مجده، ولكن أين يأتي؟ في الأرض أم في السماء؟ سياق النص يوضح أنه يأتي إلى الأرض لا سيما وهو يقول "آت" بمعنى أنه "آت هو إلينا" نحن البشر! وإلا قال العكس: "ونحن البشر آتون - أي راجعون - إلى الابن".

وهذا الجزء مُضاف بقصد في قانون الإيمان القسطنطيني: "آت ثانية" إذن فالمعنى واضح.. أنه "أتى إلينا نحن البشر المرة الأولى، وصُلب فيها على عهد بيلاطس البنطي"، وهذه هي المرة الثانية: "آتٍ إلينا نحن البشر ثانية" وعليه يحتمل المعنى



أمرين: هل سيأتي إلينا نحن البشر ونحن مازلنا على الأرض قبل القيامة ونهاية الحياة؟ أم بعد القيامة؟! لم يُحدد النص..

لكن يتبين من المقطع الثاني من النص أنه سيأتي: "ليُدين الأحياء والأموات" وبناءً على هذا المقطع: يكون إتيانه قبل قيام القيامة، فسيأتي إلينا ونحن مازلنا في هذه الحياة.. لأنه قال: ليُدين [الأحياء والأموات] والأحياء والأموات فقط يكونون على الأرض.. هذا حي، وهذا ميت. أما بعد قيام القيامة، وانتهاء الحياة على الأرض؛ سيعود الموتى للحياة مرة أخرى، فهذا التقسيم: حي وميت هو تقسيم في الأرض فقط، أما في الآخرة ـ الحياة الأبدية ـ فلن يكون هناك أحد ميت.. فهو إما حي في الجنة، أو حي في الجحيم.

ومقطع "ليُدين الأحياء والأموات" موجود في نص قانون الإيمان النيقاوي 325م ـ وكما ذكرت الأحياء والأموات تقسيم في الأرض فقط ـ ولما عُدل القانون في المجمع الثاني 381 م، أضاف "آتٍ ثانية" إضافة مقصودة لذاتها.. ليتأكد ـ كما يُبيّن النص ـ أنه آتٍ إلينا نحن البشر، ونحن مازلنا على الأرض؛ ليُدين الأحياء والأموات.. وليس هناك احتمالات أخرى يقبلها النص.

وعلى هذا المعنى نناقش:

"آتٍ ثانية" إلينا نحن البشر.. لم يُبين النص كيف يأتي؟

أيأتي إلينا "إنسان تام، إله تام".. أم يأتي إلينا إله فقط؟





وإذا أتى إنسان.. هل سيحتاج أن يتجسد من الروح القدس ومن مريم، ويتأنس.. ويُولد من مريم العذراء؟ أَم أنه ينتظر آلاف السنين ـ مثلما انتظر مريم كما قال الأرثوذكس ـ ؛ ليجد مثل مريم.. لتنال هي الأخرى شرف التجسد الإلهي في المجيء الثاني؟!!

أَم لا حاجة له بهما الآن، إذ كان الغرض من التجسد والتأنس هو الفداء والصلب والخلاص!

وإذا أتى إله فقط بكل خصائصه المذكورة في القانون [رب واحد، إله حق، نور من نور، مساو للآب في الجوهر] كيف نتعامل معه نحن البشر؟ وبأي أرض سيكون؟ وبأي لغة سيتكلم؟ وبأي قانون سيحكم؟ وبأي عقاب سيُنزل؟

وهذا هو النص التاسع للتأكيد على انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة، وهو كذلك النص السادس على استحالة اتحاد تلك الأقانيم. فالابن هو الذي سيأتي وليس الآب ولا الروح القدس ولا الثلاثة أقانيم !

***

"ليُدين الأحياء والأموات"

وإذا كان الابن الوحيد الرب الواحد الإله.. تجسد وتأنس وتألم وصُلب وقُبر، من أجل أحد المخلوقات التي خُلقت بواسطته، وهو "آدم" صاحب الخطيئة الأصلية، ليُخلصه ويُخلص ذريته من بعده منها، هل عندما سيأتي ثانية سيكون بكل هذا الفداء





والتضحية، أما سيأتي هذه المرة "في المجد".. إدانة ومحُاكمات وعقوبات وقوة وسلطان؛ لتقع "الإدانة" على الحي والميت؟!

ولكن كيف يُدين الميت؟ هل في هذه الحالة "سيحتاج" إلى الروح القدس.. الرب المُحيي؟

هل ستظهر للابن - وهو في المجد - خصائص أخرى لا نعرفها.. علينا توخي الحذر منها؟

كيف يأتي في المرة الأولى للخلاص، وفي المرة الثانية للإدانة؟

وكم إدانة ستكون لنا نحن البشر؟ هذه إدانة على الأرض عندما يأتي الابن في المجد، وعندما تنتهي الحياة على الأرض.. وتأتي الحياة الأبدية، هل ستكون هناك إدانة أخرى وحساب جديد في السماء بواسطة الآب؟!

ومن ذا الذي سيضع "قانون الإدانة"؟ أهي نفس "القوة القاهرة" التي وضعت "قانون الخلاص" وأجبرت الابن الوحيد الرب الإله على التجسد والتأنس والصلب والألم والقبر.. لمغفرة خطيئة مخلوق خُلق بواسطته؟!!

أما أن هناك قوة أخرى ستضع "قانون الإدانة"، وتُعيد هيبة الابن الذي صُلب وتألم وقُبر؟!





ثم إن الأحياء على الأرض بالمليارات، وعدد الأموات أكثر بكثير من الأحياء.. فكيف للابن أن يُدين كل هؤلاء الأحياء والأموات؟ وكم يستغرق من الوقت؟ وهل تَسع الأرض لكل هذه المليارات من البشر من لدن آدم حتى يوم مجيئه؟!

وحين تقع الإدانة على طائفة من البشر أو جنس أو لون أو لغة.. هل لهذه الطائفة أن تقدم أفضل ابن لها للصليب مثلما فعل الابن الوحيد الرب الإله، ويُقبل خلاصهم من الإدانة؟ أم أن الإدانة ليس بعدها اعتذار ولا فداء ولا استثناء.. فليس هناك فرصة أخرى؟

أوَلم يكن أولى بهذا الابن الرب الإله الذي من أجل خلاصنا نحن البشر؛ صُلب عنا ـ حسب القانون ـ أن تكون الإدانة أولاً ثم الخلاص بعدها، وننعم بالخلاص والفداء، فلا إدانات ولا محاكمات؟ أَم أنه ليس له من الأمر شيء فهو ينفذ قانوني: "الخلاص" و"الإدانة" على هذا الترتيب.. وليس من حقه أن يُغير فيهما شيئ؟!

ولو افترضنا أن كلمة "ليُدين" بمعنى إقامة الحُجة والبرهان.. وليس الحكم والجزاء، فما للأموات بإقامة حجة عليهم وهم أموات؟ كيف ستقوم الحجة على ميت.. أسيقوم كل الموتى في كل العصور ليُقيم عليهم الحجة ويُدينهم؟!

على أن وجود كلمة "ملكه" في النص التالي تُوحي بالمحاكمة والحساب والجزاء.. فهو صاحب المُلك، وهو يأتي ليُدين.



وأخيراً لماذا "الابن الإله" لم يُدن آدم ـ صاحب الخطيئة الأصلية وخلّصه منها وغفرها له أو عاقبه عليها حينما كان في الجنة، أو أول نزوله إلى الأرض ـ وكفى نفسه الصلب والفداء والخلاص؟!

وبهذا النص اكتملت عشر نصوص تؤكد على انفصال الذوات والأوصاف والخصائص والآلهة وهي بترتيب القانون: ["مولود **من** الآب" ـ "نور **من** نور" ـ "إله حق **من** إله حق" ـ "الذي **بـ** واسطته كانت كل الأشياء" ـ "**وتجسّد من** الرّوح القدس و**من** مريم العذراء" و"**تأنس**" ـ "**صُلب** من أجلنا" ـ "**صعد** إلى السماوات" ـ "عن **يمين** الآب" ـ "**آت** ثانية" ـ "**يُدين** الأحياء والأموات"].

وهو كذلك النص السابع للدلالة على استحالة اتحاد تلك الأقانيم، وهي بترتيب القانون: ["تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس" ـ "صُلب من أجلنا" ـ "تألم وقُبر وقام" ـ "صعد إلى السماوات" ـ "جالس عن يمين الآب" ـ "آت ثانية" ـ "يُدين الأحياء والأموات"]. !

***

"الذي لا فناء لمُلكهِ"

وهي إضافة جديدة مثل إضافة "آتٍ ثانية" تمت في قانون الإيمان القسطنطيني سنة 381م، وهي إضافة مقصودة لذاتها.. وهي تشير إلى أن "المُلك" للابن، وهذا المُلك دائم لا ينتهي.

ويبدو من هذا النص أن الآب وهبه ابنه هذا المُلك.. لأن القانون في وصف الآب قال: "خالق السماء والأرض، وكل الأشياء المرئية واللامرئية". وفي كيفية الخَلق قال القانون أيضاً: "الذي بواسطته ـ أي الابن ـ كانت كل الأشياء" فإذا كان الابن بواسطته كانت كل الأشياء.. فالآب هو الذي أراد هذه الواسطة، وهو الذي استخدم واسطة الابن، وكذلك واسطة الروح القدس؛ فالآب هو المُريد من وراء هذه الواسطة، وهو الذي وهب للابن الذي جرت بواسطته كل الأشياء.. مُلك لا فناء له.

إذن الابن له الواسطة في الخلق وله المُلك وله الإدانة، وهو الرب، وهو الإله.. وكأن الآب ترك لابنه إدارة كل شيء، بالتوافق مع الروح القدس.. الرب المُحيي !!

وهكذا انتهى القسم الثاني من القانون الخاص بالإيمان بيسوع المسيح، ونلحظ أن الابن أخذ القسط الأكبر من القانون، بالمقارنة بالحديث عن الآب أو الروح القدس. وألصق القانون بالابن كل خصائص الألوهية والربوبية، وسنتحدث عن ذلك تفصيلاً في عقيدة الثالوث.

وبانتهاء هذا القسم، ينتهي قانون الإيمان النيقاوي 325م، مع اعتبار الإضافات الجديدة التي عُدلت في القانون القسطنطيني 381م.

والآن إلى القسم الثالث، والمتبقي من قانون الإيمان القسطنطيني، والخاص بالحديث عن الروح القدس؛ والذي تقرر فيه ألوهية الروح القدس !

***







القسم الثالث: وصف الروح القدس

نص قانون الإيمان القسطنطيني ترجمة عن اليونانية القديمة:

"وبالروح القدس الرب المحيي، المُنبثِق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ لهُ ومُمجَّد، الناطق بالأنبياء."

نص قانون الإيمان القسطنطيني ترجمة عن اللاتينية:

"... وبالروح القدس الرب المحيي، المُنبثِق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ لهُ ومُمجَّد، الناطق بالأنبياء...."

وبهذا النص يكون وصف الروح القدس هو:

- الرب المُحيي.
- منبثق من الآب كما في عقيدة الأرثوذكس، أو منبثق من الآب والابن كما في عقيدة الكاثوليك.
- مسجودٌ له ومُمجّد، مع الآب والابن.
- ناطق بالأنبياء.





"الرب المُحيي"

هذه هي المرة الثانية التي يذكر فيها كلمة "رب"، المرة الأولى كانت من نصيب الابن إذ قال القانون: "رب واحد يسوع المسيح" ولكن ربوبية الابن هذه لم تسلم، فهنا ظهر شريك له في تلك الربوبية وهو "الروح القدس" وشريك بخاصية "الإحياء".. وما كان للقانون أن يقول عن الابن "رب واحد يسوع المسيح" ثم نكتشف في نهاية القانون "رب آخر" هو الذي يُحيي، ولا ندري من الذي يُميت، لم يذكر القانون شيئاً هل الروح القدس هو الذي يُميت أم الابن أم الآب أم الثلاثة أقانيم معاً؟

ولكن كُتب النصارى تقول أن الروح القدس: ("اشترك" في خلق العالم! ـ وقادر على إحياء الموتى ـ وهو يُدين وعاقل.. إلخ)[1] !

وها هم يقولون "اشترك" في خلق العالم.. وليس هناك معنى أبلغ من ذلك في الشِرك وتعدد الآلهة والإرادات..! فماذا كان دوره؟ وما هي درجة مشيئته؟ وهل كان مطيع لإرادة الآب؟ أم إرادة الابن؟ أم كلاهما معاً؟ أم إرادة مستقلة ؟!!

وهذا النص يعتبر انتقاص من ربوبية الابن ـ فبحسب القانون ـ الابن بواسطته كانت كل الأشياء، له المُلك، وهو يُدين الأحياء والأموات، ثم يقول القانون هنا: الروح القدس "الرب المُحيي" ثم تعود شروح الكتب المسيحية لتقول: أنه "يُدين، واشترك في خلق العالم!" وسنجد ذلك سمة بارزة في مختلف كتب المسيحية ونصوصها وشروحها.. عدم التناسق، والتناقض الدائم، وعدم الاجتماع على كلمة سواء في أي

(1) كتاب الروح القدس وعمله فينا، البابا شنودة الثالث.





جزئية من جزئيات الاعتقاد.. ولِمَ لا ؟! وهم يجادلون في الله بغير علمٍ، ولا هدى، ولا كتاب منير!

ثم إن القانون لم يذكر الروح القدس بشيء من الألوهية، كما قال عن يسوع المسيح: "إله حق من إله حق، نور من نور"..

لذا، يبدو من النص هنا أن الروح القدس، وإن كان يتمتع بهذه الخاصية الفريدة "الإحياء" إلا أنه أقَلهم درجة، وأقل من الابن تحديداً من حيث الوصف، لكن من حيث الواقع.. الروح القدس لم يُصلب، ولم يتألم، ولم يُقبر.

وهكذا يعود النص للتفريق بين الألوهية والربوبية، بل ويُقسم الربوبية ذاتها بين الابن والروح القدس.. وهذا شرك مُركب، وبهتان عظيم.. كما سنبين تفصيلاً.

***

"المُنبثِق من الآب" [أرثوذوكس]- **"المُنبثِق من الآب والابن"** [كاثوليك]

ونستحضر هنا كيفية وجود الابن، قال القانون: "المولود من الآب غير مخلوق" وقلت: أن "الولادة" أياً كان طبيعتها هي حالة انتقال من العدم إلى الوجود، ويستحيل أن يُفهم لفظ "الولادة" على أي معنى آخر، وهنا في هذا النص نجد مصطلح جديد وهو "الانبثاق" وهو كذلك أياً كانت طبيعة ذلك الانبثاق فهو انتقال من العدم إلى الوجود، ويستحيل أن يُفهم لفظ "الانبثاق" على أي معنى آخر.



انبثق.. فماذا كان قبل الانبثاق؟ لا شيء.. ثم حدث له "انبثاق" فالنص يشرح بكل وضوح "كيفية وجود" الروح القدس !

ولستُ أدري على الحقيقة ما الفرق بين "الولادة للابن" و"الانبثاق للروح القدس"، إن هذه الدقة في التمييز بينهما، لا شك له دلالته ومغزاه !

فما المغزى في التفرقة بين الولادة والانبثاق؟

وهل الولادة أعلى درجة من الانبثاق؟

ولماذا لا يُوصف الروح القدس بابن الله هو الآخر؟ أليس هو كذلك "منبثق من الآب"؟

يقول الأرثوذكس: أنه انبثق من الآب وحده.. لأنه لو قلنا انبثق من الآب والابن لكان تعدد آلهة !

ويقصدون ـ كما فهمتُ ـ من كلمة تعدد آلهة، أي تعدد جوهر الذات الإلهية. أي أنه سيصبح جوهر الآب غير جوهر الابن، ولذا فهو انبثق من الآب لأن جوهر الذات الإلهية واحد !

ويقول الكاثوليك: أنه انبثق من الآب والابن !

وواضح من نص قانون الإيمان ترتيب الوجود، فالأول كان للآب، ثم وُلد الابن، ثم انبثق الروح القدس. الابن بواسطته كانت كل الأشياء، فلربما اشترك مع الآب في عملية انبثاق الروح القدس !

على أنني لا أرى فرق جوهري أهو انبثق من الآب أو انبثق من الآب والابن معاً؟!

فكلا التصورين لا يستقيما في عقل طرفة عين.

وبهذا الانبثاق اكتمل ثالوث النصارى، وسيظل ثالوث أفلاطون أكثر منطقية، لأنه قال عن الوسطين الأزليين (العقل والروح) دون الإله في الكمال، وخارجين عنه. !

***

"الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ لهُ ومُمجَّد"

يجعل النص هنا الروح القدس في الدرجة الثالثة أو المرتبة الثالثة في الترتيب.. فالآب أولاً والابن ثانياً والروح القدس ثالثاً.

"مسجودٌ له ومُمجد" فصل تام ووضوح تام بثلاثة آلهة، وثلاث ذوات ـ وإن قالوا من أصل واحد ـ فلكل منهم له خصائص وصفات ومهام.

"**مع** الآب والابن.. مسجود **له**" وبهذا يكون النص الحادي عشر للدلالة على تعدد الآلهة، والذوات. وهو النص الثامن للدلالة على استحالة اتحاد تلك الآلهة في إله واحد، إذ يقول مسجود.. (**له**) (**مع**) !!

***

"الناطق بالأنبياء"

تقول كتب النصارى في شرح هذا النص: "إن الأنبياء يَسُوقهم روح القدس، وهو الذي يصنع العجائب على يد الأنبياء والقدسين والرسل في الأعمال، وكذلك من



خلال كتاباتهم ! وهو الذي يُرسل الرسل ليُبشروا بالمسيحية، ويرشدهم ويساعدهم في تنظيم الكنائس وانتخاب رجال الكهنوت."[1]

ولهذا النص خطورة كبيرة جداً على العقيدة المسيحية، لأن هذا النص ببساطة هو حائط صد منيع دون محاولة ـ أي أحد ـ فهم العقيدة المسيحية ومناقشتها، لأن هذا النص هو الذي يحمي "سر الكهنوت" ويحمي الكهنة ورجال الدين.. !

فهم يقولون أن "الروح القدس" هو الذي يقول لهم، وهو الذي يأمر، ويُرشد، ويُقدس، ويُمجد، ويُفهم.. كما سيأتي تفصيلاً في الحديث عن "سر الكهنوت" !

على أنني لستُ أدري لماذا الروح القدس هو الناطق بالأنبياء، أوَليس الأولى أن يكون "الكلمة" أحق بهذه الخاصية.. أوَليس الابن هو الكلمة؟ وهو المصلوب؟ أَم أنه مشغول بأمور أخرى، فأرسل الروح القدس في هذه المهمة؟!

وهذا الاختلاف في المهام والوظائف لكل إله.. يُبين بكل وضوح انفصال كل إله، ودور كل إله، ومهمة كل إله! وإن قالوا من جوهر واحد. ومع هذ الاختلاف بين كل إله: (الآب، والابن، والروح القدس) يستحيل كذلك أن يكونوا في اتحاد تام ! فهو تعدد واضح جداً لا شك ولا لبس فيه.

ولماذا يقولون إله واحد، ولا يقولون رب واحد؟! أم يقولون إله واحد وأرباب متعددة؟!

ولكنها آلهة متعددة، وأرباب متعددة، وشرك مُركب، وبهتان عظيم !

---

(1) كتاب الروح القدس وعمله فينا - البابا شنودة الثالث، بتصرف. شرح دستور الإيمان - القديس نكتاريوس.





ويُختم القانون بـ **"وبكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة ورسولية؛ نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وننتظر قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي"**

وكان تاريخ هذا النص سنة 381م قبل المجامع التالية التي انفصلت فيها الكنائس والطوائف إلى التقسيمات المعروفة حالياً، ولاحظت أن كلمة "جامعة" في الترجمة الإنجليزية هي "Catholic" أي كاثوليكية ! وعلى أي حال سواء أكانت كنسية واحدة أو عدة كنائس، ليس هو موضوع مناقشة هنا.

***

"نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا"

والتعميد هو أحد أسرار الكنيسة والتي يتمتع بها رجال الكهنوت [1]، فهم وحدهم من يملك هذه الأسرار ويزاولها (سر التوبة والاعتراف، سر مسحة الرضى، سر المسحة المقدسة.. إلخ) فهم الوسطاء والشركاء بين العبيد والآلهة. وهذا الذي جعل الكنيسة في عصورها الذهبية تبيع صكوك الغفران ! وتبيع الجنة ! حتى تكدس لها ثروات تُضاهي ثروة الامبراطور !



(1) كتاب اللاهوت المقارن - البابا شنودة الثالث. أسرار الكنيسة السبعة - حبيب جرجس.







الثالوث وسر الكهنوت

الثالوث

شرح الثالوث من الأمور المعقدة جداً، والتي لا يقبلها العقل بأي صورة من الصور، وكلما رفض العقل الثالوث؛ جعلوه من الأسرار! وسنحاول هنا أن نبسط المعنى قدر المستطاع، ونناقش ما يؤمن به المسيحي، لأن المسيحيون أنفسهم يتخبطون في فهمه ! وكذلك أي إنسان.. فأنى لعقل أن يفهم هذه الأقوال !

يؤمن جميع المسيحيون على اختلاف طوائفهم بهذا الثالوث: (الآب والابن والروح القدس) يقولون: نعبد إلهاً واحد في ثالوث، ونعبد ثالوثاً في وحدانية !

ذات واحدة مثلثة الأقانيم (أقنوم الآب ـ أقنوم الابن ـ أقنوم الروح القدس) "ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة"[1].

فما هو الأقنوم؟

جاء في كتب المسيحية: "كلمة من أصل سرياني وتعني حرفياً "شخص" أي سمات وخصائص الكائن التي بها نتعرف على ماهيته الخاصة التي نشخصه بها، هذا معناها حرفياً.. أما ما عُرفت به من معاني مختلفة مثل "أصل" أو "ذات" فهي معاني خاطئة، ولذلك وجب علينا توضيح وتفسير ما معني كلمة أقنوم، كلمة (أقنوم Hypostasis

(1) تاريخ ابن البطريق - قرار مجمع القسطنطينية 381 م.





هيبوستاسيس) باليونانية وهي مكونة من مقطعين "هيبو" وتعني: تحت، و"ستاسيس" وتعني: قائم أو واقف. وبذلك تعني كلمة ''هيبوستاسيس'' لغوياً تحت القائم أو ما يقوم عليه الشيء، ولاهوتياً تعني: ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم به الجوهر أو الطبيعة.

والأقنوم: هو كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به وله إرادة. ولكنه واحد في الجوهر والطبيعة مع الأقنومين الآخرين بغير انفصال. !

وهى تعني كل من يتميّز عن سواه، ولذلك فإنه يُراد بالأقنوم التعيين أو الاختصاص أو الوظيفة."(1)

الخلاصة وببساطة ـ كما بيّنت شُروح الكتب المسيحية ـ أن الله واحد في كيانه، أي وحدة جامعة لثلاثة أقانيم (والأقنوم شخص حقيقي له إرادة، ويقوم عليه الجوهر الإلهي الواحد).

أي أن:

- الله واحد يتكون من ثلاثة أقانيم.
- ثلاث إرادات.
- ثلاث أشخاص أو أقانيم كل منها متميز عن الآخر.

(1) مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية - الأنبا بيشوي. الروح القدس وعمله فينا - البابا شنودة الثالث. موقع كنيسة الأنبا تكلا.



وأحياناً كثيرة ـ في محاولة يائسة للفهم ـ يعتقد المسيحيون أن الأقانيم صفات لله الواحد! وهذا اعتقاد باطل ـ في زعمهم ـ وهرطقة كما يقولون، ويُسميه علماء اللاهوت المسيحي "هرطقة سابيليوس" الذي كان يُنكر وجود ثلاثة أقانيم ويظنها صفات أو أسماء ! وكانت إحدى أسباب انعقاد مجمع القسطنطينية 381م ـ الذي اكتمل فيه الثالوث ـ للرد على بدعة أوسابيوس مجدد تعاليم سابليوس، والذي كان يقول: أن الثالوث ذاتًا واحدة وأقنوم واحد.. ولكن الصحيح عندهم: "الأقنوم كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به وله إرادة"[1]

ويمكن أن تعتبر هرطقة "سابيليوس" محاول جيّدة لإراحة العقل من الاضطراب الشديد الذي يصيبه عند محاولة فهم الثالوث والأقانيم.. فسابيليوس حاول أن يكون منطقي بعض الشيء؛ فلهذا ادعى أن الأقانيم صفات أو أسماء، ولكن هذا الاعتقاد يعتبر هرطقة في المسيحية !

العجيب ليس هذا، العجيب أنه في محاولة ضرب الأمثلة لفهم الثالوث تقع كلها في بدعة سابيليوس، رغم أنهم كافرون بها، ويعتبرون سابيليوس مهرطق !

ومن أشهر تلك الأمثلة [2]:

الإنسان: يقولون إن الإنسان (جسد وعقل وروح) وهذه الثلاثة مجتمعة هي الإنسان الواحد، ولا يمكن فصل احدها عن الآخر. والله مثل ذلك [ذات (آب)

(1) تاريخ ابن البطريق - مجمع القسطنطينية 381 م. محاضرات في النصرانية - الشيخ محمد أبو زهرة.
(2) كتاب التثليث والتوحيد - حلمي القمص يعقوب. موقع كنيسة الأنبا تكلا. دائرة المعارف الكتابية المسيحية.



وعقل (الابن) وروح (الروح القدس)] وهذا المثال ساقط من وجوه عدة: إن الإنسان جسد وروح، والجسد يتكون من مواد عديدة وتراكيب مختلفة من اللحم والعظم والدماء والأحشاء، والروح الإنسانية السر الذي لن ينكشف لأحد، هي التي تجعل الإنسان إنساناً وبها تكون الخصائص الإنسانية التي لا يعرف الإنسان كنهها حتى الآن، مثل [العقل والتفكير والإلهام والإدراك والحب والكره والوعي والغضب والسرور والحزن وغيرها من الصفات الإنسانية العديدة...] فالإنسان ليس ثالوثاً، بل جسد ورح، ومادة الجسد يقيناً ليست هي من جوهر الروح، فأما الثالوث فهو من جوهر واحد مثلث الأقانيم، وله ثلاث وجوه، وأشخاص، وكيانات.. آب ، وابن مولود من الآب، وروح قدس منبثق من الآب. !

مرة أخرى تعريف الأقنوم: كل ما يتميّز عن سواه، وغير منفصل عنه. وكل شيء في جسم الإنسان متميز عن سواه وغير منفصل عنه.. حتى بصمة أصابع اليد الواحدة، فهل نقول إن كل أصبع في اليد أقنوم متميز عن سواه، وغير منفصل عنه.. فضلاً عن بصمة الصوت، والعين.. إلخ ؟!

الشمس: يقولون إن الشمس هي (قرص الشمس ـ ضوء الشمس ـ حرارة الشمس) وهو كذلك مثال ساقط من عدة وجوه، وبعيداً عن التكوين الفيزيائي والمادي للشمس، فلو افترضنا أن الشمس قرص، وله ضوء، وحرارة.. مثله مثل أي شيء في الوجود يتكون من أشياء ولها صفات، أما الثالوث: "فهو أشخاص وليس صفات، ومن جوهر واحد غير متميز، ولكن الأقانيم متميزة!". وضوء الشمس يُولد





الحرارة ـ فيما نرى ـ لكن تلك الحرارة ليست ذات أو أقنوم.. فهل صارت تلك الحرارة ذات متميزة أم من صفات الشمس؟ وهل الحرارة المتولدة من ضوء الشمس تقوم عليها ذات الشمس وجوهرها كما في الثالوث؟!

قول المسلمون "**بسم الله الرحمن الرحيم**": يقولون هذا تثليث، فأنت تقول: (الله، الرحمن، الرحيم).. وهو أحد الأمثلة التي يضطرون فيها ـ غير قاصدين ـ إلى فهم الأقنوم على أنه اسم أو صفة، ولكن الإيمان المسيحي الحق ـ بزعمهم ـ هو اعتبار الأقنوم "كائن وشخص حقيقي، والثلاثة أقانيم في وحدة واحدة". وبالطبع هذا المثال مضحك فوق أنه ساقط! لأنه حينما يقول المسلم: (الله الرحمن الرحيم المَلك السلام العدل..) إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه من أسماء، فإنه لا يقصد أن الله أقنوم، والرحمن أقنوم، والرحيم أقنوم، والعدل أقنوم... بل يقصد إلهاً واحداً لا شريك له، ويسأله بصفاته العُلى، وأسمائه الحسنى.

يقولون في محاولة أخرى فاشلة: "الله موجود منذ الأذل، وهو ناطق بكلمته أي عاقل ناطق، وهو حي بروحه القدس".. أي أن النطق والحياة صفات ! وهذه هرطقة في المسيحية، ليسوا صفات. الأقنوم ـ في التعريف اللاهوتي ـ "كائن.. كائن حقيقي له شخصيته الخاصة به وله إرادة". ولو كانت صفات لا مهرب أيضاً.. فالإله لا يتصف فقط بالنطق والحياة، بل له صفات عديدة.. وستصبح كل صفة أقنوم أو إله !! لا مفر !

***



إن العقل يحاول جاهداً ـ أمام هذا الثالوث ـ أن يجد مهرباً يستريح فيه فلا يجد، فالأقنوم ليس صفة، وعليه يجب الإيمان بثلاثة أقانيم، وثلاث إرادات، وثلاث اختصاصات وظيفية ـ على حد تعبيرهم ـ وهم متحدين في كيان واحد هو الله !! "وهذا الكيان له ثلاث إرادات من حيث العدد، وواحدة من حيث النوع لأنهم من جوهر إلهي واحد"[1] !

كيف..؟! ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر والكمال والقدرة، كل منهم كائن حقيقي له شخصيته الخاصة وله إرادة.. كيف تكون إرادتهم واحدة؟

يقولون:

إن إرادتهم واحدة، لأنهم من مصدر أو جوهر إلهي واحد؟

أوَليس مليارات البشر من مصدر واحد، والتوأم من بطن واحدة لكل منهم طاقة وإرادة واستعدادات وحتى بصمة مختلفة. فهل هذا جعل إرادتهم واحدة؟!

كلما تحاول أن تفهم ينقلب عليك كل ما فهمته، وتعود لا يتقبل العقل أي معنى لهذا الثالوث !

وإن تثليث أفلاطون أسبق من تثليث المسيحيين.. فأفلاطون توفى سنة 270 م، واكتمل الثالوث المسيحي في قانون الإيمان القسطنطيني سنة 381 م ! وتثليث أفلاطون أكثر منطقية، لأنه منذ البداية حسم درجات الثالوث حتى يستطيع العقل

(1) المجامع المسكونية والهرطقات - الأنبا بيشوي.



تقبلها.. فقال: "الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير، وجعل بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه، وعلى نحو ما داخلين فيه أي تتضمنهما ذاته، صادرين عنه، دونه في الكمال، أول هذين الوسيطين: "العقل" وثانيهما: "الروح الإلهية" وسيطين أزليين"[1]!

قالها بوضوح: "دونه في الكمال".. حتى تكون هناك "إرادة واحدة عُليا" وحتى يستطيع العقل محاولة تقبل الأمر! ولكن التثليث المسيحي متساوي الجوهر!

ولكن ما هو الجوهر، وما هي الذات.. وما الفرق بينهما؟

إنهم يتكلمون عن جوهر الذات الإلهية !!

وأسأل أنا عن جوهر الذات الإنسانية.. الروح التي في الإنسان؟

حدثونا عنها، عن جوهرها، عن سرّها، عن ذاتها، عن كيفية عملها، عن عدد أقانيمها، عن عدد إراداتها، عن كيفية تغيّرها، عن كيفية اكتسابها الصفات، عن اختلاف كل روح إنسانية عن الأخرى.. حدثونا عن العالم اللامرئي من الإنسان !

لن يستطيع عقل أن يتحدث عن سر الروح ولا "كيف" تعمل وتستجيب، ولا عن كيف يصبح بها الإنسان إنساناً..!

كيف يفكر الإنسان؟ كيف يضحك ويبكي؟ كيف يحب ويكره؟ كيف يشتاق ويحن؟ كيف يتخيل ويدرك؟ كيف ينطق ويتكلم؟ كيف يَحيى ويَموت؟!

---

(1) محاضرات في النصرانية - الشيخ محمد أبو زهرة.





فإذا كان الإنسان لا يعرف روحه، فكيف له أن يتجرأ وينطق بحرف واحد عن الذات الإلهية؟ كيف له أن يتحدث عن "كيفيات أفعال" خالق هذا الكون، وهو لا يعرف نفسه؟ أي جرأة وسفه وعبث هذا !!

وإن نطق العقل بكلمة واحدة عن ذات الله؛ سيُفجر معه بركان لا ينتهي ولا يهدأ طرفة عين من الأسئلة التي ليس لها إجابة، لأن معرفة الذات ستكشف كيفيات الأفعال، كيفية الحياة والموت والخلق والإحياء.. إلخ، ولا أحد يعرف عنها أي شيء، ولن يعرف !

ثم في النهاية ينتهي العقل إلى التيه والعبث والشك والشِرك والكفر ولا شيء غير ذلك. إنهم يواجهون العقل بعقيدة كلما حاول فهم جزء منها.. كلما اضطرب أكثر، وأصبحت طلاسم شديدة التعقيد ! ثم يقولون اغلق عقلك ولا تسأل، فالعقل لا يستطيع أن يفهم، أوَليس هم من تحدث عن ذات الله في تلك الصورة الساذجة الشديدة الكفر. من تحدث عن الذات الإلهية.. مُلزم أن يقول كيفيات أفعال تلك الذات، لأن معرفة الشيء فرع عن تصوره، وأنتم تصوّرون الذات الإلهية، وعليكم أن تكملوا الحديث عن كيفيات أفعالها! ولن يستطيعوا ولو كان الإنس والجن بعضهم لبعضٍ ظهيرا.

وإذا كان الإله الواحد ـ حسب القانون ـ مثلث الأقانيم، لماذا لم يُعبد أو يُمجد المثلث مع الصليب أو من دونه ؟!

***





توحيد الثالوث وثالوث التوحيد:

معنى الثالوث:

- الله واحد يتكون من ثلاثة أقانيم.
- ثلاث إرادات.
- ثلاث أشخاص أو أقانيم كل منها متميز عن الآخر.

ولقد يظن البعض أن كلمة توحيد الثالوث تساوي ثالوث التوحيد في المُراد منها، كلا..

تثليث في وحدانية معناها ـ كما فهمت ـ: (ثلاثة أقانيم ـ ثلاث إرادات ـ ثلاث وجوه) كلها في كيان واحد، وحدة لاهوتية جامعة وهذا معنى توحيدها.

أما **وحدانية في تثليث**: هو تأكيد على أن هذا التوحيد "مثلث الأقانيم" حتى لا يُفهم من هذا التوحيد المعنى المباشر له.. أنهم ذات واحدة أو أقنوم واحد! إنه يقطع الطريق على هذا الفهم ليقول أن: كل أقنوم له وجود مُميز له.. فيقول: "وحدانية في تثليث" !

وبالعودة لقانون الإيمان نجد إحدى عشر دليلاً على انفصال الذوات والآلهة والصفات والخصائص والوظائف، ونجد ثماني أدلة على استحالة اتحاد تلك الأقانيم.. فضلاً عن استحالة فهمها !!



الأدلة على انفصال الذوات والآلهة والصفات والخصائص:

عشرة أدلة في وصف الابن: ["مولود **من** الآب" ـ "نور **من** نور" ـ "إله حق **من** إله حق" ـ "الذي **بـ** واسطته كانت كل الأشياء" ـ "**وتجسّد من** الرّوح القدس و**من** مريم العذراء" و"**تأنس**" ـ "**صُلب** من أجلنا" ـ "**صعد** إلى السماوات" ـ "عن **يمين** الآب" ـ "**آت** ثانية" ـ "**يُدين** الأحياء والأموات"].

وفي وصف الروح القدس الدليل الحادي عشر: ["الذي هو (**مع**) الآب والابن مسجودٌ (**لهُ**) ومُمجَّد"].

الأدلة على استحالة اتحاد تلك الآلهة في إله واحد أو في وحدة لاهوتية جامعة:

["تجسد **من** الروح القدس و**من** مريم العذراء"، و"**تأنس**" ـ "**صُلب** من أجلنا" ـ "**تألم** و**قُبر** و**قام**" ـ "**صعد** إلى السماوات" ـ "**جالس** عن يمين الآب" ـ "**آت** ثانية" ـ "**يُدين** الأحياء والأموات" ـ "الذي هو (**مع**) الآب والابن مسجودٌ (**لهُ**) ومُمجَّد"].

تأملها بهدوء.. وستجد سواء جمعتهم وحدة لاهوتية واحدة أم لا، أنهم ثلاثة آلهة، ثلاث أرباب، ثلاث أشخاص، ثلاث إرادات منفصلة !

وهذا هو التوحيد الذي يقوله المسيحيون "وحدة لاهوتية جامعة لثلاثة أقانيم" !

وهل هناك إذن إرادة "للوحدة اللاهوتية" هذه غير إرادة الثلاثة أقانيم، أو كانت سابقة لإرادتهم؟

ولماذا تضم ثلاثة أقانيم فقط؟





وهل تلك الوحدة اللاهوتية الجامعة كانت تضم الآب وحده، ثم أرادت أن يكون للآب ابن، فُولد من الآب الابن.. وهو في حضن الوحدة اللاهوتية الجامعة، ثم أرادت أن ينبثق الروح القدس من الآب، فانبثق هو الآخر.. وهو في حضن الوحدة اللاهوتية الجامعة؟!!

وهل تلك الوحدة اللاهوتية الجامعة هي القوة القاهرة، والإرادة المجهولة، التي وضعت "قانون الخلاص" وأرغمت الابن على الصلب والتألم والقبر، لتكون المغفرة لمخلوق خُلق بواسطة الابن؟!

***

هذه هي طبيعة أقوال البشر عن الله بغير علم، يعتريها النقص والزيادة والاضطراب وعدم التناسق.. لا سيما وهي تتحدث عن الذات الإلهية، ومعرفة الشيء فرع عن تصوره، وهم لم يروا الذات الإلهية، ولم ولن يعرفوا كيفيات أفعالها. وكل محاولة عقلية لفهم ذات وكيفيات أفعال الله - وليس مطلوب من العقل أن يفهم كيفياتها لأنها خارج حدود طاقاته وقدراته ومهامه - فوق أنها تصل إلى الفشل والظن، فإنها تنتهي كذلك إلى الشِرك أو الإلحاد.

أيُ عقل يمكن أن يتقبل أي معنى من هذه المعاني الواردة في قانون الإيمان؟! وإن كل سؤال ناقشته في هذا قانون.. لينسف نسفاً كل ما كتبته عقول البشر من أساطير وأوهام وظنون عن ذات الله. ولكن يمكن إلغاء هذا العقل بكلمة واحدة.. "**سر الكهنوت**" !



يقول علماء المسيحية: "**سر الكهنوت** هو تاج الأسرار لأنه بدونه لا يمكن للكنيسة أن تستمر، ولا يمكن لأحد أن ينال مواهب الروح القدس بدونه، وهذا السر قد تأسس منذ البدء كباقي الأسرار المقدسة، والكاهن له منزلة النبي وله امتيازات أكثر من الأنبياء.. إذ أن الكاهن مؤتمن علي الشريعة، ومسموح له بتقديم الذبائح إلى الله للتكفير وحمل خطايا الشعب.. وله سلطان غفران الخطايا، ومن فم الكاهن تخرج الشريعة. وهو السلطة الوحيدة التي لها الحق في أن تفكر وتدرس وتفسر وتشرح الأسفار الدينية"[1].

يمكن إلغاء كل سؤال ومناقشة في قانون الإيمان، وغيرها من أي نوع من المناقشة في العقيدة المسيحية بكلمة واحدة.. إلغاء العقل؛ بسر الكهنوت:

- أنت لا تفهم مراد الرب، وحده الكاهن من يفهم !

- هناك معاني باطنية للألفاظ والنصوص.. أنت لا تعرفها ! الكاهن وحده هو من يعرف !

- أنت لست مُقدساً ولا ممتلئ بالنعمة، الكاهن وحده هو المُقدس والمملوء بالنعمة.. الروح القدس يَحل عليه !

- الكاهن يملك سُلطان مغفرة الخطايا.. وأنت لا تملك !

- الكاهن يعرف الأسرار.. وأنت لا تعرفها !

---

(1) كتاب اللاهوت المقارن ج1 - البابا شنودة الثالث. كتاب الكهنوت ج1 - البابا شنودة الثالث. كتاب أسرار الكنيسة السبعة - حبيب جرجس. كتاب سر الكهنوت - الأنبا موسي. سر الكهنوت في الكتاب المقدس - موقع كنيسة الأنبا تكلا.

- الكاهن ينطق فيه الروح القدس، وهو الوسيط بين الله والناس.. وأنت لست بوسيط !

هذا الكهنوت هو العقبة الصلبة، والصخرة الصلدة، والأغلال المُذلة التي تقف في طريق الإنسان المسيحي.. إذ لا مجال للعقل، ولا مجال للتساؤل، ولا مجال لمحاولة الفهم، فالكاهن يملك "سر" و"سلطان خاص" منحه إياه "روح القدس" فتحول الكاهن هو الآخر إلى "رب" متميز على باقي المخلوقين، فهو الوسيط، وهو يملك منح المغفرة.. وهذا عين الشِرك، وأوضح صور عبودية البشر للبشر.

هذا هو حائط الصد المنيع أمام الطريق إلى دين الله الحق.. لأن الكاهن يُلغي العقل تماماً، ويتحكم في الروح؛ فيصبح المرء أسيراً بين يدي الكاهن.. لا إرادة له، ولا اختيار، ولا تفكير، ولا فهم.. هذا هو الإيمان استوعبه العقل أم لم يستوعبه، عليك أن تؤمن "اغلق عقلك.. واعتقد" ! هذا ما وجدنا عليه آباءنا.. وإن على آثارهم مُقتدون !









لمحة تاريخية

حكم قسطنطين الأول الدولة الرومانية في الفترة [307ـ337 م]، وهو الذي دعا إلى عقد أول مجمع مسكوني في العالم في نيقية سنة 325 م ـ الذي تم فيه صياغة قانون الإيمان ـ ومع تحول موقف الإمبراطور الوثني "قسطنطين" تجاه الديانة المسيحية خلافاً لسابقيه.. كان هذا التحول لاعتبارات سياسية واجتماعية خشي فيها على تفكك الدولة.. "وقسطنطين ـ رغم مسيحيته ـ كان يصرُّ على التمسك بالإرث السياسي الروماني القديم الذي يضع الإمبراطور في المكانة الأعلى بالنسبة إلى شعبه، ومن هنا يمكننا أن نفهم مغزى اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية من الأصل، فقد آمن بها دون اعتراف بدور سياسي للكنيسة، وأمل أن تظل مرتبة الكنسية دون مرتبة الإمبراطور، وحسب قول أحد المؤرخين: لقد أراد قسطنطين للكنيسة أن تعلو بيديه، لا عليهما !

ولهذا حاول ـ في نفس الوقت ـ إيجاد توازن بين النظام الديني القديم (الوثنية) والوافد الجديد (المسيحية)، حدث هذا في نفس الوقت الذي حاول فيه قسطنطين الحفاظ على الامتيازات الدينية السابقة للإمبراطور الروماني، فاحتفظ باللقب الذي كان يحمله أسلافه الرومان (Pontifex Maximus ـ الكاهن الأعظم).

ولقد احتوى بلاطه في نفس الوقت على العديد من رجال الدين المسيحيين، إلى جانب الكهنة والفلاسفة الوثنيين، كما قسمت الوظائف الكبرى بين المسيحيين



والوثنيين، بل إن النقود التي أمر بصكها احتفظت أيضاً بإشارات تدل على المسيحية والوثنية معاً.

ونظراً لانتشار المسيحية في وسط ثقافي وفكري متفلسف ومتشبع بروح الفلسفة والتراث اليونانيين.. فعندما دخل الرومان في الديانة النصرانية، نقلوا معهم إليها أبحاثهم الفلسفية وثقافتهم الوثنية، ومزجوها بالمسيحية التي صارت خليطاً من كل ذلك "[1]

فكان هذا هو الزلزال الأول للعقيدة المسيحية، فلقد قضت المجامع الكنسية على ما تبقى من ديانة التوحيد؛ حتى تحولت إلى مزيج من الوثنيات والشركيات، وقابلة للتغيير والتطوير والإضافة والحذف حسب رغبة كل امبراطور[2] ! ثم قُسمت الدولة بين الإمبراطور والكهنة، وقُسم المجتمع إلى: طبقة الإمبراطور والأمراء، ورجال الكهنوت من جانب، وعامة الشعب المسحوق باسم الإمبراطور والكهنوت من جانب آخر..

وتفشى ظلم الكنيسة ـ في عصورها الوسطى المظلمة ـ حتى طال كل شيء:

طغيان روحي: جعل رجال الكهنوت أنفسهم وسطاء بين الله والناس.

طغيان عقلي: فرضت الكنيسة عليهم الأسرار، ومنعت مناقشتها.

(1) الدين والقمر: والدولة في العصور المسيحية القديمة والوسطى - حاتم الطحاوي، بتصرف.

(2) راجع المجامع المسكونية، والمجامع التالية لها. ورغبة الإمبراطور وتأثيره على قرار المجامع ! وحتى قرار زوجات الإمبراطور في عبادة الصورة والأيقونات من عدمها، وراجع إطلاق الهرطقة على المعترض واضطهاده بل ومحاربته.



طغيان مالي: باعت الكنيسة للشعب صكوك الغفران ! وفرضت العشور والهبات.. حتى أصبحت من أكبر ملاك الأراضي، وأكبر مساند للسادة الإقطاعيين في أوروبا.

طغيان سياسي: فرضت الكنيسة نفسها على الدولة والمجتمع، أنها المتحدثة باسم الرب، وعلى الجميع أن يخضع لسلطان الكنيسة.

طغيان علمي: فرضت الكنيسة على العقول عدم التفكر في أمور الكون، وأن يلتزم الجميع فقط بتفسيرات الكنيسة، وحرقت العلماء القائلين بغير تفسيراتها ! فنشأت العداوة بين دين الكنيسة وبين العلم[1].

ثم..

انفجر المجتمع تحت هذا الطغيان، فقامت الثورة الفرنسية التي غيرت وجه الحضارة الأوربية ـ امتداد الحضارة الرومانية ـ فكان هذا هو الزلزال الثاني للعقيدة المسيحية، قامت الثورة الفرنسية ضد الثالوث الحقيقي القائم في حياتهم (الملوك والكنيسة والنبلاء) مقابل الضلع الكسير ممثلاً بعامة الناس أو بمعنى أدق العبيد.. حيث لا وجود لإنسان أو مواطن أو حقوق ! قامت الثورة الفرنسية في بدايتها ضد الإقطاع، وضد فساد رجال الدين.. ثم تلقفها اليهود فجعلوها ثورة ضد الدين نفسه ! واستحكمت العداوة بين العلم والدين.. وصارت "العلمانية" هي دين أوربا الجديد ! والمسيحية بقايا تاريخ أو تراث !



(1) مذكرة في الإسلام والمذاهب المعاصرة - د/ أحمد فواقه، بتصرف.





وبهذا انتهت مناقشة قانون الإيمان، وما طرحته فيه من أسئلة تركت إجابتها للعقل المسيحي ليتأملها ويتمّعنها ويحاول البحث عن إجابة شافية كافية لها.

ولعل القارئ الكريم يلحظ أنني لم اتخذ طريق المناظرات والمقارنات، بل كان قوام هذه المناقشة ـ لقانون الإيمان ـ محاولة الفهم وإثارة العقل نحو هذا الإيمان؛ الذي يستحيل أن يستقيم في عقل طرفة عين، كما لا يمكن إغلاق العقل، وعصب العين.. وتؤمن لأن السابقون هكذا اعتقدوا، ولأن الدين هكذا وُرث عن الآباء !

كلا..

إن العقيدة أمر هائل في حياة الإنسان؛ يُحدد مصيره في الدنيا والآخرة.. ولهذا يجب أن يكون الإيمان عن بيّنة، وعن اطمئنان، وعن يقين، وعن فهم، وعن وضوح لا أسرار فيه، ولا غموض، ولا شك، ولا اضطراب.. اضطراب كالذي في قانون الإيمان وفي تناقضه، فإنك ما تكاد تؤمن بشيء ويستقيم معناه في النفس، إلا تجد النص الذي يليه يلغي الفهم الأول، ثم يكون المطلوب ليس محاولة الفهم، بل إلغاء العقل الذي حاول الفهم !

وسبب هذا الاضطراب هو محاولة الجمع بين التوحيد والشِرك، وهي محاولة باءت بالفشل ككل محاولاتهم للهروب من الشِرك الذي يطاردهم في كل لفظ ومعنى، وهذا هو السبب الرئيسي في الحيرة والاضطراب الذي يصيب العقل البشري أثناء محاولة فهم



هذه العقيدة المتضادة، وهذا الذي جعلها طلاسم لا تُفهم.. لأنهم يحاولون محاولة مستحيلة في الجمع بين التوحيد والشرك، محاولة لن يستطيعها أحد ولو كان الإنس والجن بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

فهو إما توحيد، وإما شرك.. وليس ثمة خيارات أخرى. **إما توحيد**: نعبد الله وحده.. أَحَدٌ في ذاته ليس له ثانٍ، وفي صفاته، وفي مشيئته، وفي ألوهيته، وفي ربوبيته، هو الخالق سبحانه وحده لا شريك له.. لا شريك له في الخلق، ولا في الملك، ولا في الإرادة، ولا في التدبير، ولا في المشيئة.. ولا شريك له في الطاعة، ولا في العبادة، ولا في الخضوع، ولا في الدينونة، ولا في القوامة.. والكلُ بإرادته وقدرته سبحانه مخلوق، والكلُ له عبيد.

وإما شِرك: هناك إله اختص بكذا، وهناك ابن مولود من كذا.. واختص بكذا، وهناك روح قدس انبثق من كذا.. واختص بكذا، وتكوينهم الداخلي أو الخارجي سواء.. من جوهر إلهي واحد ! ولهم إرادات مستقلة، أو إرادة واحدة بعد تشاور الجميع ! أو إرادة واحدة مُجزئة بقرار واحد، وثلاث مهام.. ثم بعد كل هذا التعدد في الأقانيم، والآلهة، والصفات، والخصائص، والوظائف.. تأتي لتقول أنهم في النهاية إله واحد، لتهرب من تهمة الشِرك ! فهذا لن يستقيم في عقل أو ضمير طرفة عين.

و هو ليس شِركاً واحداً، بل شرك مُركب متعدد، من كل الأنواع.

***







قانون الإيمان في ميزان الإسلام

بيان أنواع الشِرك والكفر في العقيدة المسيحية:

- شرك الاعتقاد.
- شرك العبادة والنُسك.
- شرك الاتباع.
- الكفر بالرسالة الأخيرة.

شِرك الاعتقاد

إن الاعتقاد بأن الله ـ تعالى ـ إله واحد جوهر واحد مثلث الأقانيم، سواء أكانت تلك الأقانيم صفات أم كائن حقيقي؛ فهذا كفر وشِرك في دين الله.

إن الاعتقاد بأن لله ولد مُولود منه؛ فهذا كفر وشرك في دين الله.

إن الاعتقاد بأن عيسى بن مريم أو الروح القدس، اشتركا في خلق شيء؛ فهذا كفر وشرك في دين الله.

إن الاعتقاد بأن الله ناطق بكلمته أي المسيح، وحي بروحه أي الروح القدس؛ فهذا كفر وشرك في دين الله.



إن الاعتقاد أن الله خلق الإنسان على صورته؛ فهذا كفر وشرك في دين الله.

إن التصور الاعتقادي الصحيح ـ في دين الله ـ عن الله سبحانه، يقوم على فصلٍ تام بين الخالق والمخلوق، بين الألوهية والعبودية..﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا. لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾(1)

فالله سبحانه أَحدٌ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.. ليس له ولد، وليس هو حي بروحه القدس، ولا غير ذلك من الكفريات الصريحة والشرك الأكبر! فالله سبحانه هو الخالق، وكلُ أحد غيره مخلوق..

فلا شريك له في الخلق، ولا في الأمر ، ولا في المُلك، ولا في المشيئة، ولا في الإرادة. وأَمرُه ـ سبحانه ـ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن.. فيكون. مُطلق الإرادة والمشيئة.. سبحانه وتعالى.

فالله ـ سبحانه ـ هو الإله لا شريك له المتفرّد بالعبودية، والخلق كلهم له عبيد.. فلا إله غيره، ولا رب سواه، لا شريك له في الألوهية، ولا في الربوبية، ولا في أسمائه ولا في صفاته.. لا خالق سواه، ولا مالك سواه، ولا رازق سواه، وهو الذي يُحيي ويموت وإليه المصير.

هو الله.. الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء.. شاءت إرادة الله سبحانه الحرة الطليقة من

(1) [سورة مريم: 93، 95]



كل قيد وقانون أن يخَلق ما يشاء، فخَلق كل شيء بقدر.. ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(1) خلق السموات والأرض وخلق الكون وعوالم لا نعرفها ولا نراها، وكلها خاضعة عابدة مُسبحة لله ـ تعالى ـ ومن ضمن ما خلق، خلق الإنسان.. مخلوق مُتفرّد وليس من فصيلة الحيوانات، ولا من أقسام الثديات! بل هو متفرّد في خلقه، وفي دوره ورسالته. كل المخلوقات عابدة ومُسبحة لله.. إلا الإنسان صاحب إرادة في الاختيار، فحمل أمانة العقل وأمانة الاختيار.. ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(2) ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(3) ولكن جزاء ذلك متفرّد أيضاً إنه الجنة والنعيم لمن آمن، وجهنم والعذاب لمن كفر .

فنزل الإنسان إلى الأرض ليُبتلى في إيمانه، وليُمتحن في حقيقة اختياره ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(4).. وحُجة الله قائمة عليه بدون إرسال الرسل، وإنزال الكتب.. ولكن رحمة من الله سبحانه؛ أرسل الرسل وأنزل الكتب لتُذكر الإنسان بعهده مع الله في عبادته وطاعته.. أرسل رُسلاً من البشر، ليكونوا مع الناس وفي حياة الناس؛ حتى يبلغ البيان والحق أقصى مداه. ولكن الإنسان يَطغى، ويستكبر، ويستعلي على قول الحق ورؤية الحقيقة، فالشيطان يقف عند كل طريق

(1) [سورة القمر : 49]
(2) [سورة الأحزاب: 72]
(3) [سورة الكهف: 29]
(4) [سورة الملك: 2]





للهداية يصد الإنسان عن دعوة الحق. فإذا استسلم الإنسان لطغيانه ولكبره، واتبع سبيل الشيطان؛ هلك وكَفر.

والله سبحانه يعلم أن عقل الإنسان لن يكف عن التفكير في الله الذي خلقه.. فعرّفه بكيفية عبادة هذا العقل لله.. إنها برؤية آثار الله في الكون، ورؤية آياته الباهرة في كل خلق، وبالتأمل في الملكوت المنظور في كل مشهد، وبرؤية آيات الله في النفس التي بين جنبي الإنسان ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[1] وباكتشاف بديع صُنع الله في هذا الكون الهائل، وبالتأمل في كيف أن هذا الإنسان الذَرة المحدودة في هذا الوجود العظيم الهائل.. يُكرمه الله ويُعلي شأنه، ويجعله سيد هذا الكون، وخليفة الله في أرضه، وكيف أن الله سَخّر له ما في السماوات وما في الأرض.. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] تسهيلاً لمهمته على الأرض، وكذلك باكتشاف العقل للسنن المبثوثة في الكون، وتسخيرها لخدمته، وتحقيق أقصى معاني الخلافة على الأرض.. فيَرشد العقل ويعمل في المجال الصحيح والمطلوب، فترتقي الحياة ويرتقي معها الإنسان.. وتسير الإنسانية والحياة إلى الأمام في خط صاعد متزن نحو الله، نحو خالقه، وخالق الكون من حوله.

(1) [سورة فصلت: 53]

(2) [الجاثية : 13]





لكن.. يستكبر العقل ويظن نفسه أنه إله، فيروح يسأل فيما ليس له به علم ! ويروح يقتحم بسذاجة وجهل منقطع النظير ما ليس له به طاقة، ويُضيع طاقته العقلية في عبث لم يدفع البشرية خطوة واحدة إلى الأمام، بل كان التيه والعبث والشِرك والإلحاد..

راح العقل يسأل عن ذات الله، وعن كيفيات أفعال الله؟!

وأَنى له أن يعرف وهو المخلوق؟! وأنى له أن يسأل وهو الموجود من العدم؟! وأنى له أن يتجرأ وأتى عليه حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا؟! وأنى له أن يستوعب وهو لم يَشهد خلق نفسه، ولا خلق السماوات والأرض؟! وأنى له أن يفهم وهو لم ير الله؟!

أقحم العقل نفسه ليسأل عن كيف يفعل الله كذا وكذا؟ وكيف يترك الله كذا وكذا؟! ويتجرأ فيقول ويتكلم فيما ليس له به علم؛ فيكون هذا هو الجهل المؤدي إلى الكفر والتيه والإلحاد، وهو نفس الحال عندما تزداد جرأته وكبره وعناده ليسأل عن ذات الله !! وكل ما يتصوره العقل عن ذات الله فهو خطأ، وكل تصور عن كيفيات أفعال الله فهو خطأ، فالله ـ سبحانه ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في صفاته، ولا في أي شيء.. فهو سبحانه الخالق، ونحن المخلوقين فيكف للمخلوق أن يعرف شيئاً عن خالقه، سوى ما أخبر به الخالق عن نفسه.

ولقد دخل خلقٌ كثير في هذه المنطقة المحظورة على العقل.. لأنها ليست من مهامه، ولا تُفيده في خلافته على هذه الأرض.. دخل هؤلاء وسموا أنفسهم فلاسفة وعلماء

(1) [سورة الشورى: 11]



لاهوت ومتكلمين.. ولم يدفعوا الحياة الإنسانية شبراً واحداً إلى الأمام، ولم يفيدوا البشرية بأي شيء يُذكر سوى مزيد من التيه والعبث والإلحاد. وقد فعلها أناس ممن انتسبوا إلى الإسلام، وتأثروا بفلسفة اللاهوت، فتكلموا عن ذات الله وعن كيفيات أفعاله؛ حتى وصل الأمر بهم إلى الإلحاد والكفر!

إن مجال العقل هو اكتشاف سنن الله في الكون، وعمارة الأرض، ورؤية آثار الله فيها.. فينطلق ـ في هذا المجال ـ ليصل إلى أقصى صورة ممكنة لترقية الحياة، ولكنه لا يُترك يتحول إلى مجرد آلة تضاعف الانتاج، بل مع كل اكتشاف للسنن؛ فإنه يرى يد الله، وقدرته، وعظمته، ومشيئته، وعلمه، وحكمته، في كل ما حوله..

فيكون هذا هو العقل الرباني الذي يعمل بأقصى طاقته لعمارة الأرض، ويظل ربانياً يرى عظمة الله، وقدرته، وقوامته، وحكمته.. عند كل رؤية لهذا العقل؛ فيزداد حباً واستسلاماً وخضوعاً واتباعاً لله ولمنهجه في الحياة.

إن الله تعالى يَعلم شوق العقل إلى معرفة خالقه.. والله يريد له أن يعرف، لكن بالطريقة التي تحقق دوره على الأرض.. الطريقة التي تدفع الإنسانية والحياة إلى الأمام.. الطريقة التي يرى فيها عظمة الله في كل مشهد من مشاهد الوجود.. بل في كل ذرة من ذرات هذا الوجود.

والله يَعِده إذا حقق الخلافة في الأرض بعهد الله، وبإقامة دين الله فيها.. وعده جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. وفوق كل هذا النعيم الحسي، هناك النعيم الروحي الذي تنتظره الروح، ولا تهدأ هذه الروح وتطمئن حتى

يتحقق لها هذا النعيم، حتى وإن كانت في الجنة!.. إنه نعيم الرؤية.. رؤية الله سبحانه وتعالى، النعيم الذي يفيض في الروح فلا تَعد بعدُ ترى نعيماً غير هذا النعيم، ولا راحة مثل هذه الراحة، ولا رضى مثل هذا الرضى.. ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1]

هذا ما يُريده الله تعالى لعباده، فليختاروا ما أراده الله لهم.. ولا يَطغوا ويَستكبروا؛ فيَضلوا ويَهلكوا.

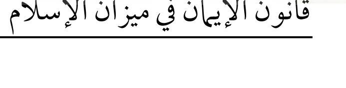
***

وليس هذا فحسب، بل يُهَوِن الله ـ تعالى ـ على الإنسان رحلته القصيرة جداً على هذه الأرض، ويجعل حياته ممتدة لا انقطاع فيها.. إن أقصر مراحل الحياة هي تلك السويعات المحدودة على هذه الأرض مهما طالت، فهي بالمقارنة بالحياة الأبدية لا تبدو إلا ساعة من نهار !

إن رحلة الإنسان على الأرض مهما لقي فيها من صعاب وابتلاءات وعذابات.. ليس هي بشيء بالمقارنة بالآخرة الأبدية بلا نهاية..! وكذلك مهما لقي فيها من متاع ونعيم وسلطان.. فليس هو بشيء بالمقارنة بالآخرة الممتدة بلا نهاية.

وسيَجد الله معه حينما يلجأ إليه بصدق، حينما يلجأ إليه ليحميه من الصعاب والعذابات.. يجد الله حينما يصبر ويَصدُق الله.. يجد الله يرفعه، ويسكب في قلبه

(1) [سورة ق: 35]



السكينة والإيمان، فيجد لذة ذلك أعظم من كل عذاب، ويجد في نفسه العزم واليقين والصمود، ويجد في قلبه الحب والرحمة والحنان، ويجد مزيداً من الشوق إلى الله.

سيجد الله معه حينما يلجأ إليه بصدق، حينما يلجأ إليه ليحميه من طغيان النعيم والمتاع والسلطان، فيراه ابتلاء هو الآخر مثل ابتلاء العذاب والصعاب أو أشد ! يرى حقيقة المُنعم والمَالك لكل شيء، فيزداد تواضعاً وقرباً من الله. لا يطغى بمتاع أو نعيم أو سلطان مَالِكُه الحقيقي هو الله سبحانه..

بل يرى كل نعمة وفضل من الله وحده، ثم يجد أن نعيم الآخرة هو النعيم، وأن ما في يديه ليس ملكه، بل هو ابتلاء وامتحان، فيجد في نفسه الرغبة في الطاعة وحب العطاء، فيُحبب الله له العطاء.. كأنه يأخذ ويستحوذ لا يُعطي ويُنفق! فيجد اللذة في العطاء أشد من اللذة في الأخذ، فيُعطي وقلبه لا يرى سوى الله.. أرضي عنه؟ فيستحثه القلب على مزيد من العطاء، ومزيد من الوجل، وهو يَطلب رضى المُنعم والمُتفضل الحقيقي! ومع كل هذا لا يتحول الإنسان أسيراً لشهواته، أو عبداً لهواه.. فتكون الحرية الكاملة، والتحرر الكامل بين يدي الله سبحانه وتعالى.

هذا ـ باختصار ـ هو التصور الاعتقادي الصحيح عن الله، وعن الكون، وعن الحياة، وعن الإنسان.. تصور يضبط حركة الإنسان في صورة إيجابية، فآعلة، ربانية، واقعية، متوازنة، شاملة في هذا الوجود، فلا يطغى، ولا يضل، ولا يشقى. وهو كذلك تصور فطري، سهل، بسيط، لا سر فيه، ولا كهنوت.. تصور تستريح له النفس،





ويستوعبه العقل ـ في حدود مجاله، وهو عمارة الأرض، وإدراك آثار الله في الكون ـ وتطمئن له النفس، وتُشرق به الروح.

وهذا التصور هو ما جاء به كل رسول من عند الله، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مروراً بموسى والمسيح ـ عيسى بن مريم ـ عليهم السلام.





شِرك العبادة والنُسك

إن التوجه لغير الله بالعبادة وشعائرها في أي صورة من الصور؛ فهذا شِرك وكفر في دين الله.

إن التوجه إلى القدسين والملائكة سواء بالسجود أو بالاستعانة بهم؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.

إن الاعتقاد بأن أي أحد من البشر - كائناً من كان - يغفر الذنوب.. سواء أكان رسول من عند الله أو نبي أو قديس كالاعتقاد بأن المسيح عيسى - عليه السلام - أو أمه مريم - عليها السلام - يغفران الذنوب؛ فهذا شرك وكفر في دين الله، وكذلك السجود لهم في أي من الصور سواء أكان أيقونة أو صورة أو صليب أو صنم؛ كلها شرك وكفر في دين الله.

إن تقديم الذبائح أو الصلاة أو الدعاء أو الاستغاثة أو الاستعانة بغير الله؛ شرك وكفر في دين الله، وكذلك الاعتقاد بأن أحد ينفع أو يضر مع الله، أو من دون الله؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.

إن الاعتقاد أن في دين الله أسراراً لا يعرفها إلا مجموعة من البشر، أو أن لرسالة الله معاني باطنية سرّية لا يطلع عليها ولا يعرفها إلا طبقة الكهنوت؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.



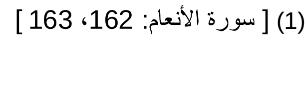


إن الاعتقاد بأن رجال الكهنوت يملكون سر المغفرة، ويستطيعونها، ويقفون وسطاء بين الله وعباده؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.

إن الله ـ سبحانه ـ أراد لعباده التحرر الكامل من كل صور العبودية لغيره في أي صورة من الصور.. وقلب الإنسان مَفطور على العبودية، فإن لم تكن خالصة تامة لوجه الله الكريم؛ فحتماً ستكون لغيره. وحينما تكون لغيره؛ يقع الإنسان أسيراً لكل عبودية كانت لغير الله.

أراد الله ـ سبحانه ـ أن يتوجه إليه الإنسان بكل كيانه قلبه وروحه وعقله وجسده.. يتوجه إلى الله وحده يدعوه، وأن يتوجه إلى الله وحده يرجوه، وأن يتوجه إلى الله وحده يسأله، وأن يتوجه إلى الله وحده يرجو المغفرة والقبول، وأن يتوجه إلى الله وحده بقلبه وجوارحه.. لا يلتفت لأحد سواه، ولا يتقِ أحداً سواه، ولا يرغب في أحد سواه، ولا يخضع لأحد سواه، ولا يتوكل إلا على الله وحده، ولا يلجأ إلا إلى الله وحده، ولا يسجد إلا لله وحده.. بلا شريك ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾[1]

إنها الحرية الكاملة بين يدي الخالق سبحانه، الحرية التي تستقيم معها إنسانية الإنسان، فلا يتشتت كيانه بين أرباب شتى.. ولا ينفطر قلبه بين آلهة عدة.. ولا بين وسطاء يتحولون إلى أرباب، ولا كهنة تستحوذ على المال من تلك الوساطة الكاذبة المزعومة، حينما يخدعون الناس بالمغفرة..!



(1) [سورة الأنعام: 162، 163]





إن الله ـ سبحانه ـ يعلم أن الإنسان ضعيف.. قد يَضعف أمام شهوة، أو قد يستذله الشيطان؛ فيقع في الخطأ ويرتكب الذنب.. فيفتح الله باب التوبة لا يُغلقه في وجهه أبداً ما دام في هذه الحياة. فيقول لمن أسرفوا على أنفسهم في الذنوب لا تقنطوا ـ أي لا تيأسوا ـ من رحمة الله.. إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم.. ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] فيُحبب الله تعالى التوبة للإنسان، ويَعده الله بالمغفرة.. وليس المغفرة فقط بل واستبدال الذنوب حسنات.. ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَـٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2] فلا يقنط أحد من رحمة الله، فالله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم.. بلا سر، وبلا اعتراف بين يدي الكاهن !

وليس هناك خطيئة أصلية ورثها الإنسان عن أبيه آدم تُثقل كاهله.. بل ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3] ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[4] وكل إنسان محاسب فقط على ما ارتكبه من أفعال، ولا يتحمل ذنب غيره، وإذا تاب الإنسان من ذنبٍ ثم عاد إليه.. يحبب الله إليه التوبة مرة ثانية وثالثة ومائة وألف بلا نهاية.. يُحبب الله إليه التوبة، ويعده بالمغفرة والرحمة الواسعة.. طالما أنه يبتغي رضى الله، وقربه، ومحبته، ويجتهد أن يعمل صالحاً ابتغاء مرضاة الله..

(1) [سورة الزمر: 53]
(2) [سورة الفرقان: 70]
(3) [سورة المدثر: 38]
(4) [سورة فاطر: 18]





ولكن.. ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1] الله ـ تعالى ـ لا يَغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فالشرك ـ في أي صورة من الصور ـ ظُلم عظيم لا يقبل الله معه أي عمل صالح..

ولن يكون للمشركين جزاء لعملهم الصالح في الآخرة، ولن يُقيم الله ـ تعالى ـ لهم يوم القيامة وزنا، بل جزآؤهم جهنم بما كفروا، وحَبطت ـ أي بطلت ـ أعمالهم الصالحة بسبب شِركهم، مهما كانت تلك الأعمال الصالحة ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[3] فمن وقع في الشرك ـ والعياذ بالله ـ عليه أن يدخل في دين الله أولاً، ثم يسأله العفو والمغفرة.

وجعل الله تعالى كل صورة العبادة له من صلاة وزكاة ودعاء وغيرها من العبادة والنُسك، إنما هي لصلاح الإنسان نفسه، وتلبية لحاجته الفطرية للعبادة، فالله غني عن كل العالمين، ولا تَنفعه طاعة عبد، ولا تَضره معصيته.. فلو اجتمع الإنس والجن على اتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك في مُلك الله شيئاً، ولو اجتمع الإنس والجن على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك في مُلك الله شيئاً.

(1) [سورة النساء: 116]
(2) [سورة الزمر: 65]
(3) [سورة الكهف: 105]





ويمكن لكل إنسان أن يرتقي في العبادة والتقرب إلى الله بالطاعات، ويستطيع الإنسان إذا أخلص قلبه لله، وصفت روحه لمحبة الله؛ أن يصل لأعلى الدرجات عند الله.. دون الحاجة لتقديس من كهنوت، أو إذن من إكلريوس، أو وساطة من رجل دين ! فالناس سواسية أمام خالقهم لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله سبحانه.. والتقوى باب شامل مفتوح يستطيع كل إنسان أن يدخله، وأن يرتقي فيه، فالعبادة صِلة مباشرة مع الله تعالى.. ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(1)

وهذه العبادة ليست مجرد طقوس وحركات يؤديها العبد، بل هي في أصلها توجه الروح نحو خالقها، ومحاولة الاقتراب بتلك العبادة من الله.. إنها العلاقة المباشرة القريبة مع الله جَلّ وعلا.. العلاقة القريبة الحبيبة التي تسأله الحب، وتسأله المغفرة، والتوفيق والسداد.. تسجد له وحده، وتتقرب له وحده.. بلا شريك.

***

إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يختار أن يعبد الله، ولهذا الاختيار جزاء عظيم عند الله، وأجر كبير ، وآثاره في الدنيا عظيمة..

فهذه العبادة لله وحده.. تُحرر الإنسان أولاً من خرافة عبادة مثلهم من البشر، أو الاعتقاد بأن غيرهم من البشر يستطيعون لهم شيء عند الله.

(1) [سورة البقرة: 186]



وثانياً: تحرر الإنسان من عبوديته لذاته، أو شهواته، أو هواه، أو عبوديته للمادة، أو المتاع، أو المال، أو السلطان.

وثالثاً: إنها تجعل الإنسان في حالة اتزان روحي دائم؛ تستقيم معه الحياة، وتفيض بالرضى، والحب، والقناعة، والرحمة، والفرحة.. التي يشعرها الإنسان عندما يشعر قيمته وكيانه، وأن الله العظيم يقبل طاعته المتواضعة.. وأن الإنسان ـ تلك الذرة المحدودة في هذا الوجود الضخم ـ يستطيع أن يلجأ إلى الله.. والله يسمع له، ويستجيب حسب إرادته وحكمته ومشيئته. كما أنه إذا فات الإنسان أي شيء في تلك السويعات المحدود على الأرض، فسيجد العِوض الكامل والعطاء الجزيل في حياته الآخرة.

ورابعاً: استمرارية تلك العبادة بلا انقطاع هو أمر فطري قبل أن يكون تكليفاً للإنسان؛ فهو يَعصم الإنسان من الشيطان القاعد له عند كل طريق مُصمم على ضلاله وغوايته.

ثم لم تكن تلك العبادة مجرد صلوات في أوقات، أو نُسك في مكان أو زمان فحسب.. بل جعل الله ـ سبحانه ـ حياة المؤمن كلها عبادة.. عبادة شاملة كل مناشط الحياة، الابتسامة صَدقة، وإفشاء السلام صدقة، والخُلق الحَسن صدقة.. بل هو أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حُسن خُلُقِه، السعي في حاجة الآخرين عبادة، إغاثة الملهوف عبادة، زيارة المريض عبادة، إطعام الجائع والمسكين ومساعدة المحتاجين بلا مَنّ أو أذى عبادة، رعاية اليتيم والحنان على الضعفاء عبادة، مخالطة الناس والصبر





عليهم عبادة، كل مناشط الحياة عبادة، يُجزي الله عليها الجزاء العظيم.. طالما أن الإنسان يفعلها وهو مؤمن مُوحد بالله غير مشرك، يفعلها من أجل رضى الله، وابتغاء مرضاته.

فتتحول تلك العبادة إلى وقود روحي؛ يدفع الإنسان إلى الحركة والمضي في الحياة لتحقيق الخلافة الربانية على الأرض، وحمل رسالة الله إلى العالمين.. وليست تلك الصورة المنحرفة التي يترهبن فيها الإنسان في صومعة؛ ويقعد عن المضي في الحياة. إنما العبادة هي التزود بالوقود الروحي لمزيد من الحركة في الحياة، وهذا وحده هو المنهج المتوازن، الذي لا يغفل جانب العبادة.. وحاجة القلب والروح إليها، ولا يغفل ضرورة القيام بالخلافة، وعمارة الأرض وفق منهج الله، وتَحمّل أعباء حمل رسالة الله إلى العالمين.

وهذا التصور عن العبادة.. هو ما جاء به كل رسول من عند الله من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مروراً بموسى والمسيح ـ عيسى بن مريم ـ عليهم السلام.

***





شِرك الاتباع

إن الاعتقاد بأن الكاهن من فمه تخرج الشريعة، وأنه يملك حق تحليل ما حَرّم الله، وتحريم ما أحَل الله؛ فهذا شِرك وكفر في دين الله.

إن الاعتقاد بأن لأي طبقة من البشر حق التحليل والتحريم من دون الله؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.

إن الاعتقاد أن من حق البشر أن يتخذوا منهجاً وشريعة غير شريعة الله؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.

إن الاعتقاد بأن من حق البشر أن يقيموا حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية.. وكل مجالات الحياة بأهوائهم وعقولهم، دون الرجوع إلى منهج الله وشرعه؛ فهذا شرك وكفر في دين الله.

لم يترك الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان في هذه الأرض بلا منهج، وشريعة تنظم حياته، وترسم طريقه.. شريعة تحدد منهج الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، والعلاقات بين الناس، وكيفية التقاضي والتحاكم. ومعنى التوحيد أن يعبد الناس إلهاً واحداً، يفرّدونه ـ سبحانه ـ بالألوهية والربوبية والقوامة ـ بكل مفهومات القوامة ـ فيتلقون منه ـ وحده ـ التصورات والقيم والموازين، والأنظمة والشرائع والقوانين، والتوجيهات والأخلاق والآداب.





وكانت كل رسالة من عند الله.. جاء بها كل رسول، كان يأتي معها من الشريعة التي تنظم حياة الناس ما يتوافق مع تلك الفترة من حياة أولئك الناس، وإن الإعراض عنها كالإعراض عن عبادة الله في الشعيرة والنُسك، وكالإعراض عن الاعتقاد بألوهية الله سبحانه وتعالى.. فإن ألوهية الله ـ سبحانه ـ تقتضي حتماً أن يكون الله وحده من له حق التشريع لعباده.. ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1] ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[2] وإن ألوهية الله ـ سبحانه ـ تقتضي حتماً ربوبيته على خلقه جميعاً، فله سبحانه الدينونة والخضوع والاتباع، فهو سبحانه (يُشرع) بمقتضى ألوهيته، وهو الذي (يَدين) الناس لحكمه.. بمقتضى ربوبيته على كل خلقه.

وإن أي محاولة بشرية للتشريع من دون الله؛ هو ادعاء ألوهية للبشر على البشر، وإن أي محاولة بشرية لدينونة الناس لهذا التشريع؛ هو ادعاء بالربوبية على البشر. وهذا هو الكفر والشرك.. فيعبد الناس آلهة وأرباباً متفرقة، يجعلون لها القوامة عليهم من دون الله، حين يتلقون التصورات والقيم والموازين، والأنظمة والشرائع والقوانين والتوجيهات والآداب والأخلاق، من بشر مثلهم. فيجعلونهم ـ بهذا التلقي ـ أرباباً، و يمنحونهم حقوق الألوهية والربوبية والقوامة عليهم.. وهم مثلهم بشر.. عبيد كما أنهم عبيد.

(1) [سورة الملك: 14]
(2) [سورة الأعراف: 54]





إنه لا بد من عبودية ! فإن لا تكن لله وحده؛ تكن لغير الله.. والعبودية لله وحده تطلق الناس أحراراً كراماً شرفاء أعلياء.. والعبودية لغير الله تأكل إنسانية الناس وكرامتهم وحرياتهم وفضائلهم.. ثم تأكل أموالهم ومصالحهم المادية في النهاية.

***

إن الله ـ سبحانه ـ وحده هو أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين.. وإن شريعة الله وحدها هي التي حقاً يتساوى فيها الخلق أمام الله، فهو الخالق ـ سبحانه ـ يُشرّع للمخلوقين، وكلهم خَلْقه.. فيُشرّع سبحانه ما يُصلح حياتهم، ويُقوّم طريقهم، ويَهدي قلوبهم، ويعصمهم من الشيطان في رحلتهم على هذه الأرض، ويُؤمّن الطريق إلى الجنة التي أراده الله ـ سبحانه ـ لهذا المخلوق.. الإنسان، لكن الإنسان يَطغى ويستكبر ويظلم ويُعاند فيكون جزاءه النار.. عاقب أبدي لا هزل فيه، وعذاب لا مراء فيه.

وفي اللحظة التي يتجرأ فيها البشر بادعاء الألوهية عند محاولة التشريع من دون الله، وبادعاء الربوبية عند محاولة دينونة الناس لهذا التشريع.. في تلك اللحظة يقع الظلم العظيم في حياة البشر، لأن هذا التشريع إنما صاغته عقول البشر وأهوائهم لطائفة أخرى من البشر، وحتماً وهي تُشرع إنما تُراعي مصلحتها الخاصة أو مصلحة الطبقة أو الحزب أو الجنس أو اللون أو الأرض أو الأمة.. وتُحقق لنفسها امتيازات على غيرها من البشر، فتكون بهذا الفعل استعبدت وتألهت على غيرها من البشر، وعندما يخضع البشر لهذا التشريع، فهي الدينونة الكاملة والخضوع المُذل، وربوبية البشر على مثلهم





من البشر.. وهذا ما لا يرضاه الله ـ تعالى ـ لعباده بأي حال من الأحوال، وبأي صورة من الصور.

***

وإن هذا الجانب من التوحيد "توحيد الاتباع لشريعة الله ومنهجه" هو أشد ما تكرهه الملوك والأمراء وأصحاب الهوى والمال والسلطان.. لأن هذا التوحيد يجردهم تجريداً كاملاً من أي تسلط على البشر في أيٍ من صوره.. سواء التسلط على البشر بالحكم والسلطان، أو التسلط عليهم بالمال والنفوذ، أو التسلط عليهم بالشهوات والأهواء، أو التسلط عليهم بالأذى والعذاب.. تجردهم دعوة التوحيد هذه من كل نفوذ وسلطان، وتضعهم سواسية أمام الله.. الفضل كله لله، والمُلك كله لله، والسلطان في الأرض والسماء لله، والمال مال الله.. وكل ما في أيديهم من مظاهر حكم أو سلطة أو مال إنما هو ابتلاء.. لينظر كيف يعملون، فإذا قاموا بما شرّعه الله لهم؛ فهم في رضى الله وجنته ونعيمه، وإذ لم يقوموا بشرعه؛ فهم في سخط الله وناره وعذابه.

ودعوة التوحيد هذه تكرهها الملوك، وحاربتها بشدة، وحاربت رسولها والمؤمنين معه في كل جيل.. في كل جيل كانت هناك طبقة من المنتفعين المتسلّطين على الناس بغير وجه حق، وتدعي ربوبيتها على الناس، فتستذلهم وتستعبدهم.. ثم تطلق لهم عنان الشهوات ـ وخاصة الجنسية ـ حتى تنغمس في الموبقات لا تخرج منها، وتطلق يد العذاب على كل من يعترض.. ثم تحترف طبقة تسمي نفسها "رجال دين" تصوغ دين يتوافق مع أهواء أصحاب السلطان والحكم والمال وتجار الشهوات والمرابين! ولا





يصطدم كذلك بأهواء الجماهير المسوُقة إلى الشهوات، فيكون الدين لها حِرفة ومصدر دخل ووظيفة ومنصب.. لها سلطان على الجماهير، وموطن قدم عند أصحاب السلطان والمال. وتتسلط طبقة "رجال الدين" هي الأخرى على الجماهير وتستغفلهم وتبيع لهم الوهم والخرافة، وتستعبدهم بالأساطير والأوهام؛ فتتحوّل هي وأصحاب السلطة والمال إلى آلهة وأرباب تستعبد أرواح وأجساد الجماهير، فلا تترك لهم منفذ للحرية تحت شرع الله !

إن أصحاب السلطان والحكم والمال، لم يحاربوا دين الله لأن هناك بعض أُناس تعتقد أن هناك خالق واحد، أو أنها تتعبد في صومعتها منعزلة، كلا.. فهذا لا ضير منه على الطواغيت والحكام والمستكبرين معهم، بل إنها أحياناً تشجع عليه، بل وربما تشارك فيه! لكنها تحارب بضراوة في معركة الوجود والمصير.. أن يتساوى الخلق كلهم أمام الله تحت شريعة الله، ويرد السلطان والمال والحكم والولاء لله وحده، هذا ما لا تُطيقه طبقة الحكام والمال والسلطان وتجار الشهوات والمرابين وتجار الدين.

لم يكن أبداً دين الله اعتقاداً بارداً في العقل، أو عبادة في وقت أو مكان.. دون أن تخضع حياة الناس كلها لمنهج الله. إن الملوك والحكام وأصحاب المال والسلطان وتجار الهوى والجماهير الهائجة من ورائهم لا تريد لشريعة ربانية أن تحكم حياتها.. بل تريد دين يكون مجرد اعتقاد نظري، أو رؤية فكرية قابلة للتغيير وحرية النظر، أو عادة ومناسبة اجتماعية، وإن عَظُمت فتكون عبادة أو صلاة في دور العبادة.. أما أن تصوغ حياة الناس وطريقهم في هذه الحياة، فهذا الذي وقف له الطغاة والمستكبرون بكل





سلاح في كل جيل، لأنه يصطدم اصطداماً مباشراً مع مصالحهم وأهوائهم وامتيازاتهم وشهواتهم، ثم يُوجهون الجماهير بسحرهم أنهم على خير منهج وطريق، ومن فسق الجماهير يستعبدونهم، فالجماهير مُستعبدة مستذله مُترهلة متفسخة متفككة غارقة حتى السُكر والثُمالة في الشهوات التي أطلاقها لهم الملوك والحكام وتجار الأهواء.

صورة متكررة في كل جيل في حياة البشرية الأمس واليوم وغداً، قد تختلف ألوان الصورة حسب المستوى الحضاري لكل جيل، لكن أبداً لم تخرج عن هذا المضمون..

ولكن دعوة التوحيد تأتي لترد الأمر كله لله صاحب الخلق والأمر، وترد الناس كلهم لله وحده.. الله هو الإله المستحق للطاعة والعبادة بلا شريك.. وهو الرب المستحق للدينونة والاتباع بلا شريك. وكل الخلق سواء، لا دماء ملكية ولا قداسة لكهنوت.. كل البشر سواء، دعوة تحريرية شاملة كاملة ثورية على كل وضع لا يَدين لله.

إن إقامة دين الله في الأرض إنما هو بإقامة شرعه ومنهجه، ورد الأمر كله لله في الاعتقاد والتصور، في العبادة والنسك، في التشريع ومنهج الحياة. وإن الاعتقاد بإله واحد.. والاعتقاد بأنه وحده مستحق العبادة والصلاة؛ يقتضي حتماً أن يكون سبحانه هو المُشرع والحاكم. وإنه كما لا يجوز للإنسان أن يسجد لصنم؛ لأن هذا كفر وشِرك في دين الله، فلا يجوز له أن يتوجه لمُشرع غير الله؛ لأنه بكل وضوح كفر وشرك في دين الله.





ثم جعل الله ـ تعالى ـ دينه هذا هو رابطة الولاء الاجتماعية، والانتساب إنما يكون لشرعه، فجعل الله دينه وشرعه.. هوية، وصبغة، وراية، ومجتمع، ودولة.. ورابطة ولاء فوق رابطة الدم، والنسب، والجنس، والقوم، واللغة، والأرض.. لأن الله سبحانه إنما خلق الإنسان من أجل قيام دينه وشرعه في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2]

لقد كانت كل شريعة من عند الله إنما جاءت لتُصلح حياة الناس في ذاك الجيل، فجاءت شريعة موسى ـ عليه السلام ـ لقومه، ثم جاء من بعده عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ لنفس القوم، مُتخذاً من شريعة أخيه موسى ـ عليه السلام ـ منهجاً وطريقاً، وما كان الناس ليتولوا عن هذه الشريعة، ولا أن يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، ولا يكتمونها ويظهرون بعضها وينكرون بعضها، حتى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وضاعت معالم الشريعة والتوراة والإنجيل، ولم تَعد بعدُ كما جاءت من عند الله.

ثم جاءت الرسالة الأخيرة، والشريعة الكاملة والخاتمة.. عندما أرسل الله ـ تعالى ـ رسوله الأخير محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتكون شريعة الإسلام هي الشريعة والمنهج لكل البشرية، ورسالته رسالة جامعة عامة لكل العالمين.

(1) [سورة الذاريات: 56]
(2) [سورة التوبة: 23]





إن شريعة الله جاءت بثوابت في أمور أرادت لها الثبات في حياة البشر، وسكتت عن أشياء قالت فيها أمور عامة جامعة، وتركت كيفية تطبيقها لظروف كل جيل، وبما يتوافق مع المستوى الحضاري الذي تعيشه البشرية، وبما يحقق مراد الله من حُكمه وشرعه.[1]

وهذه الدعوة إلى توحيد الله باتباع شرعه ومنهجه، هي التي جاء بها كل رسول من عند الله.. من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مروراً بموسى والمسيح ـ عيسى بن مريم ـ عليهم السلام.

***

(1) راجع ـ إن شئت ـ كتاب "شرع الله حق الله على العبيد.. وأصل أصول التوحيد" ـ دار الصفوة.





الكفر بالرسالة الأخيرة

إن الاعتقاد بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس برسول من عند الله؛ فهذا كُفر في دين الله.

إن الاعتقاد بأن الإسلام الذي جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس هو الدين الخاتم؛ فهذا كُفر في دين الله.

إن الاعتقاد بأن الله ـ تعالى ـ يقبل غير الإسلام ديناً؛ فهذا كُفر في دين الله.

إن الاعتقاد بأن هناك دين حق ـ يمكن للإنسان أن يتبعه ـ غير دين الإسلام.. بعد رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ فهذا كُفر في دين الله.

شاءت إرادة الله ـ سبحانه ـ أن يكون رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الرسول الأخير، وأن تكون رسالته هي الرسالة الخاتمة، وأُرسل كل رسول لقومه خاصة.. إلا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُرسل إلى الناس كافة، وإلى كل العالمين.. والله سبحانه ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1] بحكمته وعدله ومشيئته..

واقتضت سُنة الله تعالى في رُسله أن يكونوا بشراً، ولا يخرجوا عن بشريتهم قيد أُنملة، حتى يكونوا قدوة ونموذجاً للناس، يعانون ما يعاني الناس، ويَضعَفون كما يضعف الناس، ويتألمون ويفرحون كما يتألم ويفرح الناس، وإذا كان الله عصمهم من الخطأ والهوى.. فإنهم بعد مازالوا بشراً، وعلى هذا الأساس كانت بشرية الرسول قاعدة

(1) [سورة الأنعام: 124]





أساسية لتحقيق القدوة للناس.. كما قال الله تعالى عن رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾(1) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾(2)

وجاء كل رسول ليُذكر الناس بما هو مركوز في فطرتها من إيمان بالله، ولكن الفطرة قد تنحرف وتضل، فيأتي الرسول للتذكرة والبشرى والنذير، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح إلى الله تعالى..

ثم الهداية من الله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(3) ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(4)

وكان الإسلام بمعنى الاستسلام لله رب العالمين.. هو دين كل رسول من عند الله، من لدن نوح إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان التوحيد هو دعوة كل الرسل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(5) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(6)

(1) [سورة الكهف : 110]
(2) [سورة يوسف : 109]
(3) [سورة البقرة : 272]
(4) [سورة الأعراف : 2]
(5) [سورة الأنبياء : 25]
(6) [سورة النحل : 36]





كل رسول جاء بتوحيد الله في **الاعتقاد والتصور**: بأنه الله الواحد الخالق الرازق المدبر المالك والقادر على كل شيء، وهو الرب سبحانه له يَدين الخلق، وله القوامة سبحانه على كل شيء، وبتوحيد الله في **العبادة والدعاء**: فلا يدعو إنسان مع الله أحدا، ولا يسجد ولا يصلي لأحد سوى لخالقه، وبتوحيد الله في **اتباع شرعه ومنهجه**: فلا يتخذ شرع غير شرع الله، كما تقدم شرح ذلك تفصيلاً.. هذه الدعوة جاء بها بكل رسول، ولم يكن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِدعاً من الرسل ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ ﴾[1].. بل جاء بما جاء به كل رسول، لكن رسالته كانت هي الرسالة الأخيرة، ودينه هو الدين الخاتم ولا دين غيره، وشريعته هي الشريعة الكاملة الخاتمة.. للناس كافة، لكل البشرية.. في كل الأرض.

ولم تكن معجزة الإسلام معجزة مادية تقهر الناس في جيل من الأجيال وتنتهي ـ كما حدث في الرسالات السابقة له ـ بل وهو الدين الخاتم والرسالة الأخيرة كانت معجزته عقلية وسلطانه قلبي..

فكانت معجزته مستمرة على تعاقب الأزمان.. وهي "القرآن الكريم" كتاب الله المحفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، كتاب الله مفتوحاً لكل البشرية أن تنظر فيه، وتطلع عليه وتشاهد إعجازه وسلطانه على العقل والقلب والروح.. طالما أَقبل عليه الإنسان وهو يلتمس طريق الهداية، ويسأل خالقه الرشد والاستقامة على دينه الذي يحبه ـ الله تعالى ـ ويرضاه لعباده.



(1) [سورة الأحقاف : 9]





وجاهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في البلاغ المبين عن رب العالمين.. وانطلق يُعرّف البشرية ربها، بما أوحى الله إليه، فلم يخترع حرفاً من عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال عنه سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[1] وقال سبحانه مهدداً إياه إذا قال بغير ما أوحى الله به إليه ـ وهو مُحال على رسول الله ـ ولكن الآيات تعلم البشرية خطورة الرسالة، ودور الرسول، وهول أمر العقيدة.. قال سبحانه: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2]

وهو دين قال الله فيه: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾[3]

وقال سبحانه واصفاً المشركين وهم يسألون الرسول الكريم المعجزات: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا. وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّـهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[4]

(1) [سورة النجم :3، 4]
(2) [سورة الحاقة : 43، 47]
(3) [سورة النساء : 82]
(4) [سورة الإسراء : 89: 93]





والله ـ سبحانه ـ يقول للمشركين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ ﴾[1] ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾[2]

فجاهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل مجال.. في **مجال النفس**: وهو يربي الأجيال على سمو النفس وتزكيتها ورقيها.. دون إغفال حاجة الجسد، ودون أن تطغى الروح على الجسد فيترهبن الإنسان، ودون أن يطغى الجسد على الروح فيتحول إلى حيوان؛ وبذلك يتحقق التوازن وتستقيم الحياة.. فكان صلى الله عليه وسلم خير قدوة ومثال.

وجاهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في **مجال المجتمع**: وهو يربي الأجيال على التوازن بين فردية الإنسان وشخصيته المستقلة وقدراته المتنوعة، وبين المجتمع وضرورة تماسكه وحيويته. وأن الإنسان المسلم في المجتمع هو وأخيه جسد واحد؛ فوازن بين حاجة الإنسان للفردية والاستقلال، وحاجة المجتمع ودور الفرد فيه.. دون أن يطغى طرف على آخر، فيتحقق التوازن وتستقيم الحياة. وهو مجتمع لا يُقسم إلى سادة وعبيد، أو أمراء وعمال، أو كهنوت وعلماني، أو عربي وأجنبي.. بل مجتمع يتساوى كل فرد فيه في الحرية والكرامة والإنسانية، ولا يتسلط على الإنسان أحد، ولا يستعبده أحد، ولا يستذله أحد، بل الخلق كلهم سواء تحت شريعة الله.. فكان صلى الله عليه وسلم خير قدوة ومثال.

(1) [سورة يونس :96، 97]
(2) [سورة الحجر: 14، 15]





وجاهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **ليُقيم دولة**، ولتنفذ شريعة الله.. ويتساوى فيها الناس جميعاً أمام حكم الله.. فانتصر صلى الله عليه وسلم في غزواته، ولم تتبدل له سنن الله في النصر والتمكين.. بل خاض الطريق كاملاً بكل ما فيه من نَصْب وعذاب وجراح وآلام. لم يأتيه نصر سهل لأنه رسول، أو ستتغير له السنن لأنه مُرسل من عند الله، كلا.. بل خاض الطريق بكل ما يُلاقيه كل إنسان فيه؛ ليُعلّم البشرية أسس الحياة الصحيحة القويمة، ويقدم المنهج الإسلامي في صورته: الربانية، الشاملة، الواقعية، الإيجابية، المثالية، المتفرّدة، المتوازنة.. في صورة عملية في كل مجالات الحياة.

وعندما أُقيمت هذه الدولة، لم يكن لأحد فيها امتياز على أحد أو محاباة.. كل الناس سواسية أمام الله تحت شريعة الله، لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله، ولا فضل لأحد على أحد في حكم الله.. فقال صلى الله عليه وسلم: "والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[1] ولا فضل لقومه وأهله.. فقال صلى الله عليه وسلم: "يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا"[2]

(1) [رواه البخاري]

(2) [رواه البخاري]





وكان مجتمع الدولة التي أقامها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجتمعاً واسعاً مفتوحاً يستقبل كل لغة وقوم وجنس ولون.. ولا يرى أي فضل لأي أحد إلا بتقوى الله.. بل وعندما جاهد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليُقيم دين الله، ولتنفذ شريعة الله وتَسود.. لم يُكره أحداً أبداً على الدخول في الإسلام فكان قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[1] مبدأ إسلامي عام.. إن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، لأنه دين الحرية، ويريد للناس أن تدخل فيه وهي مُدركة لرسالته ومنهجه، وما يُحدثه من تحول في القلوب والعقول والأرواح.. عندما تعرف النفس ربها حق المعرفة، وتدرك ألوهيته وربوبيته حق الإدراك، حتى إذا أسلمت.. أسلمت نفسها كاملة لله.. أسلمت روحها وقلبها.. أسلمت جوارحها وحياتها كلها لله، فلم تَعد بعدُ تريد شيئاً في هذه الحياة سوى رضى الله سبحانه، وابتغاء مرضاته وغفرانه.. ثم تنطلق بعد هذا الإسلام تحقق الخلافة الربانية على الأرض بمنهج الله، وتُعمّر الأرض تحت شريعة الله، وهي لا تنتظر أي عِوض في تلك الحياة القصيرة الفانية، إنما تنتظر الجزاء في الآخرة.. عندما تلقى ربها، وتفرح بلقائه.

فجاء الإسلام منهجاً متفرّداً ربانياً.. يضع أُسس الحياة للإنسان، ويضع أُسس النظام للمجتمع، ويضع أسس الحكم، وأسس الاقتصاد، وأسس الأخلاق والآداب.. وهو لا يلتفت إلى غيره، وغير مشغولاً بما يقول غيره. فهو منهج رباني، متوازن، متفرّد،

(1) [سورة البقرة: 256]



شامل، واقعي، مثالي، إيجابي.. يُريد أن يُقيم الحياة للإنسان كما تليق بكرامة الإنسان.. المخلوق المُكرم.

وهو منهج بتفرّده هذا، يضمن أسس الرقي في التنظيم والإدارة وأدواتها وفنياتها.. فتركها لعقول البشر بما تحققه من تقدم في كل جيل، وأما الأسس والأحكام التي أراد لها الثبات.. فهو يقصد عن يقين ثباتها إلى يوم الدين.

وانطلقت دولة الإسلام تسيح في الأرض.. تحمل رسالة الله إلى العالمين، وتَصد كل عدوان على كرامة الإنسان حين يستعبد البشر غيرهم من البشر؛ فدخل الناس في دين الله أفواجاً.. دون إكراه في دين الله، ومن لم يدخل في دين الله.. فهو آمن تحت شرع الله، فكان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال الله تعالى عنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]

***

ثم وقع الانحراف..!

وقع الانحراف عن منهج الله وسُنة رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدأ الانحراف في سياسة الحكم والمال تدريجياً.. ثم وقع الانحراف كاملاً بمرور الأجيال، حتى سقطت دولة الخلافة..! وتكالب الأعداء على دولة الإسلام حتى تفسخت، ولم تَعد بعدُ تلك الدولة التي بناها وشيدها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل أصبحت دولاً

(1) [سورة الأنبياء: 107]



قومية علمانية مستوردة ـ أو مفروضة ! ـ من أوربا المعروفة بعداوتها الشديدة لكل دين ـ بعد صراعها مع الكنيسة على الامتيازات والمصالح ـ فأصبح وطننا الإسلامي دولاً قومية ينادي كل قوم فيه بتراث الجاهلية، فصارت مثل القومية الأوربية، دولاً عربية نعم.. لكنها تنسلخ من دينها وهويتها وحضارتها وتاريخها ورسالتها.. وهي تحت حكم وسيطرة "حضارة القومية الأوربية العلمانية الاستعمارية" !

وقَدّمت حضارة "القومية الأوربية العلمانية" الإنسان والحياة في أحط صورة.. صورة تجاوزت في انحطاطها ومسخها كل الحدود.. حتى مستوى الحيوان ! وقَدّمت هذا الانحطاط باسم العلم! وهذا العلم هو دين أوربا الجديد !

قال داروين "عالم البيولوجي"[1]: "الإنسان نشأ نتيجة تطور بيولوجي، فتطور حتى وصل من مستوى "حيواني" إلى مستوى "حيواني" أرقى.. فمن كائن وحيد الخلية إلى أن وصل إلى مرحلة القرد ثم الإنسان! والطبيعة هي التي خلقته ! وتلك الطبيعة تخبط خبط عشواء !" وليس هذا فحسب بل يقولون: "إن هناك عوامل بيئية جعلت الإنسان هو المسيطر على الأرض، وكان يمكن للديناصورات مثلاً أن تكون هي سيدة الأرض!" ولا تخلوا ثقافتهم من تلك الأساطير.. إذن فهذا الإنسان مجرد حيوان تطور بيولوجياً حتى وصل إلى هذه الصورة، وهو أرقى حيوان حتى الآن..! ولا تخلوا أفلاهم من أن هناك مخلوقات أخرى ستأتي لتحتل الأرض، وتُفني الإنسان.! ونفخ اليهود في هذا العبث، حتى ملأ أسماع الدنيا !

(1) راجع - إن شئت - فصل: «اليهود الثلاثة» كتاب: «التطور والثبات في الحياة البشرية» - محمد قطب.



قال فرويد "عالم النفس اليهودي": صاحب التفسير الجنسي للسلوك البشري، "كل نشاط الإنسان في الحياة، قائم بدافع الجنس.. حتى طعامه وشرابه، حتى حبه لأبيه وأمه.. مجرد حيوان جنسي! حتى الدين نابع من الجنس من "عقدة أوديب" من كبت الشهوة الجنسية التي يحسها الطفل الذكر نحو أمه"! ثم يقول: "لا توجد في حقيقة الأمر روابط بين البشر.. لا بين الولد وأمه، ولا بين الولد وأبيه، ولا بين الزوج وزوجته، ولا بين الأخ وأخته، فضلاً عن أن تكون هناك روابط بين الغرباء"!!

قال ماركس "عالم الاقتصاد اليهودي": "كل نشاط الإنسان في الحياة، وكل حركة التاريخ.. بدافع المال والاقتصاد"، فهو باختصار عبد للمال والمادة.. وأخلاقه هي مجرد انعكاس لوضع اقتصادي.

قال دوركايم "عالم الاجتماع اليهودي": العقل الجمعي ـ أي الثقافة السائدة والعرف الاجتماعي ـ هو من يصوغ فكر وعقل الإنسان.. أي ليس هناك أخلاق ولا قيم في ذاتها، بل هي ثقافة ينشرها المجتمع بين أفراده، وبالتالي فليست هي ذات قيمة أو ميزان إذا استطعنا تغيير نمط هذا "العقل الجمعي"..!! وأخذ عن داروين التفسير الحيواني للإنسان، ومده ليغطي ميدان العلاقات الاجتماعية، فيقول دوركايم: "إنه لا يمكن تصور ثبات شيء من القيم على الإطلاق.. لا الدين، ولا الأخلاق، ولا التقاليد". ويقول أيضا: "كان المظنون أن الدين والزواج والأسرة، هي أشياء من الفطرة.. ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان".



هذا هو الإنسان الأوربي المعاصر، المولود من رحم "المكر اليهودي".. هذا هو الإنسان الأوربي المُستعمِر ! وهذا هو الذي يَفرض ثقافته وفكره على كل البشرية !

هذا هو الإنسان الأوربي المتقدم: حيوان ! جنسي ! مادي ! بلا أخلاق ولا قيم ![1]

حيوان ! خلقته الطبيعة، وهي تخبط خبط عشواء.. لا قيمه له، ولا رسالة، ولا هدف، ولا دين.. من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين سيذهب؟ لا شيء.. خبط عشواء! وعليه أن يعيش كالحيوان.. وبسلوك الحيوان، وبطريقة الحيوان! يرى الحياة والأرض غابة كبرى، وعليه أن يبقى فيها، والبقاء للأقوى.. البقاء لجنسه أو لونه أو قومه أو وطنه، والباقي أعداء نفترسهم بحاجة وبغير حاجة.

جنسي ! يرى الحياة لحظة جنس مسعورة، لا حدود ولا ضوابط ولا أخلاق ولا قيم ولا هدف أمام تلك اللحظة المسعورة، فكل الأعراض مُستباحة، بل وانحدر إلى ما دون الحيوان.. فاعتبر الشذوذ الجنسي لا غبار عليه، ولا عيب فيه.

مادي بلا أخلاق: العابد للمال، يرى الحياة القدرة على الاستحواذ على المال من أي طريق، وبأي وسيلة.. حتى ولو مشى فوق جثث الآخرين، حتى ولو شرب دمائهم، حتى ولو باع أعراضهم وأجسادهم وأعضائهم البشرية. هذا المادي يرى المال سلطة

(1) ولكن فقر الإنسان الأوربي من تلك القيم، لم تمنعه أن يُبدع في الحياة المادية، ويصل لأقصى درجات التنظيم والإدارة، والدفع بالكفاءات في كل مجال، بعد تحررهم من أمراض "الاستبداد والطغيان" كـ [الجمود الفكري - الترهل النفسي - تدمير طاقات الإنسان واحتقاره - الهوان - اللامبالاة - الرعونة - الخنوع - ضيق الأفق]، كما أن هذا الإنسان نشأ على الصدق والأمانة والوضوح، واحترام الآخرين واحترام النظام.. كأخلاق الضرورة الاجتماعية، وأمن وسِلم المجتمع، لكن أخلاق الضرورة الاجتماعية هذه تتلاشى في حال استعمار الشعوب، وسرقة ثرواتهم. أخلاق نسبية حسبما تقتضي الحاجة، دون أن يكون لها بُعد قيمي أو روحي أو ديني !



وقوة ساحقة يشتري بها الذمم والضمائر، ويُفسد بها الأخلاق.. فيكون الإنسان نفسه أقل قيمة من المال، ثم وجد ضرورة اجتماعية تفرض عليه "التنظيم والإدارة" حتى يستمتع بالحياة أكثر، وحتى يكون هناك حد أدنى من "السِلم والأمن الاجتماعي" فراح يُبدع في تلك الحياة المادية.. فهي الإله المستحق للعبادة! فوصل إلى أقصى مرحل التقنية والإبداع، وحاول تحقيق بعض خدمات اجتماعية، حتى يأمن ردود الأفعال في حالات الفقر المُدقع داخل وطنه !

هذا الحيوان الجنسي غارق في وحل الجنس، وعبودية المال والمادة حتى الثُمالة.. ولا قيمة للأخلاق ولا لأي دين، بل القيمة والأخلاق فيما يفرضه "القانون والنظام" وليس هناك قيم في حد ذاتها، ولا أخلاق.. بل هي حسب "العقل الجمعي" ونسبية حالته.. القابلة للتغيير حسب الحاجة !

فماذا كانت النتيجة ؟!

قامت حضارة أكبر دولة في العالم "الولايات المتحدة الأمريكية" فوق جماجم 112 مليوناً من الهنود الحمر، في أكبر عملية إبادة في تاريخ البشرية ! حضارة قامت على جماجم البشر، وعاشت بدمائهم.. وسرقة ثرواتهم.

ثم..

حربين عالميتين..



في الحرب العالمية الأولى: قُتل ما يقرب من 8,5 مليون نفس بشرية، 21 مليون جريح، 7,7 مليون أسير ومفقود!

في الحرب العالمية الثانية: قُتل ما يقرب من 61,8 مليون نفس بشرية ![1]

ثم تمخضت الحرب عن قوى كبرى عالمية، تَستذل، وتَستعبد، وتَستحقر، وتَستبيح أموال ودماء وأعراض وأرواح الشعوب الضعيفة؛ فقامت حروب من كل الأنواع للسيطرة على المال والثروة.. الإله الحقيقي المعبود في ظل الثقافة الأوربية العلمانية الحديثة.

***

ثم صَدّرت أوربا ثقافتها وفكرها من خلال استعمارها وسيطرتها على المال والثروة، واحتلالها للعقل والفكر، واستعبادها الأرواح والأجساد:

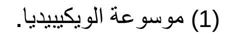
فصار العُري الجسدي الأوربي.. قدوة ومثالاً !

وصار الفكر الأوربي الحيواني.. علماً وثقافة !

وصار المُحتل الأوربي الغاصب.. محرراً وفاتحاً !

وصارت الحياة الأوربية.. هي الحضارة ونهاية التاريخ !

وهذا هو الذي صُدّر لدول العرب، بعد أن سقطت دولتهم وخلافتهم.. صُدّر الانحطاط والانحلال، ومُنع العلم والاكتشافات ! واستوطن الاستبداد والطغيان؛



(1) موسوعة الويكيبيديا.

وتفشت أمراضه التي تفتك بإنسانية الإنسان.. وتدمر طاقاته؛ وتُورثه الضعف، والذل، والتخاذل، والرعونة، والجمود الروحي، والقصور العقلي، والترهل النفسي، وانعدام الفاعلية والتأثير، والفردية الشديدة، فضاعت الكرامة الإنسانية وانتشرت أخلاق العبيد، وليس هذا فحسب، بل وبتنحية شرع الله على نظم الحكم والحياة؛ انتشر الظلم والفساد من كل نوع !

وراحت دول العرب تُقلد في صورة ساذجة مقززة أوربا..!

راحت تحلم بالديمقراطية تارة، وبالاشتراكية تارة، وبالرأسمالية تارة، وبالشيوعية تارة، وبالليبرالية تارة.. وجربت كل نظام، وفشلت في كل شيء! حتى صارت دولاً فاشلة، وفي كل تجربة كانت أحلام السفهاء، لأن السلطان الحقيقي والنفوذ الفعلي لمن يملك المال، فتهرب من الديكتاتورية إلى الديمقراطية[1] ظناً منها أنها الخلاص.. فتجدها ديكتاتورية مهذبة بعض الشيء، وأكثر انفتاحاً لكنها أشد سيطرة، والأمر في النهاية أيضاً يتحكم فيه من يملك المال، ويَستعبد العقول بوسائل التوجيه والإعلام،

(1) وإن كانت الديمقراطية أصبحت أفضل نظام سياسي في الغرب، فهم يمنعونها عن بلاد العرب فإما استبداد تحت إمرتهم أو ديمقراطية تحت اختيارهم.. ويمنعون عن بلاد العرب كل نافع مفيد، عقلية استعمارية قائمة على مص دماء الشعوب الضعيفة، وسرقة ثرواتها، فالديمقراطية التي تريدها أمريكا والعالم الغربي لبلادنا ليست هي امتلاك الشعوب لإرادتها وثرواتها، وخروجها من الهيمنة العالمية والفلك الأمريكي. الديمقراطية التي تريدها أمريكا لبلادنا هي اقتصاد السوق الحر (دولة بلا اقتصاد وطني وبلا ركيزة تكنولوجية علمية)، وحرية الإباحية والجنس، وحرية الإلحاد والكفر، وحرية انهيار الأخلاق والقيم. ولا مانع أن يأتي من ينفذ ذلك باختيار الشعوب وعبر الصندوق، طالما سيأتي ليحقق أغراضهم. ولكن عسى أن تقوم الثورة الإسلامية يوماً - ولعل إرهاصات ذلك قد بدأت - لتسترد حريتها، وكرامتها، وعزتها.. ولتنهض لتقدم للبشرية النموذج الحضاري الرباني.. وينفتح الطريق أمامها للتحرر من الهيمنة العالمية، وتُقيم الحضارة الإسلامية من جديد، هذا وعد الله، والله غالب على أمره.

ويَستعبد الأجساد بالجنس المبذول في كل مشهد وكلمة، ويستعبد الأرواح بخرافة أنهم هم أهل الصلاح والنجاة !

وتهرب من الشيوعية إلى الرأسمالية أو العكس، ثم تجد الأمر في النهاية.. حِفنة حقيرة قليلة من الناس تتحكم في مليارات من البشر! وتملك الثروة والمال والنفوذ والسلطان على كل البشرية؛ فتَستعبدهم وتَستذلهم، وفوق أنها تسرق كفاحهم وعرقهم ودمائهم وأرواحهم وحياتهم.. فوق كل هذا تُضيّع عليهم طريق النجاة، وطريق الهداية بمعرفة دين الله واتباعه!! وفي الآخرة.. تُوردهم النار وعذاب الجحيم!

وبعد أن توجهت السهام لقلب دولة الإسلام وسقطت.. توجهت السهام إلى الإسلام نفسه، وراح الطاعنون فيه يرمونه بكل سهم وبكل نقيصه! وصار المسلمون أنفسهم هم من يُقدّمون أسوء مثال للإسلام، فيصبحون كذلك أحد الطاعنين فيه !

وأصبح الإسلام غريباً حتى على أهله ومن وُلد في دياره. وثارت حرباً شعواء لتثير شُبهات كاذبة لتشويه الإسلام، وتمزيق رسالته، وتسفيه شريعته.. حرباً لا هوادة فيها، ولم تتوقف لحظة !!

وظن البعض أن الإسلام دين للعرب وحدهم، لأنه نزل بلسان عربي، لكنه دين للبشرية كلها، والحرب عليه والطعن فيه.. إنما هي البشرية تُهلك نفسها، وتَظلم نفسها، وتختار لنفسها ناراً أعدها الله للكافرين.. في عذاب الخلد في أبد الأبدين !

ولإن سقطت دولة الإسلام بسقوط رمز الخلافة، ولإن استمر الطعن والحرب على الإسلام.. فهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية الآن وفي كل آن.. ﴿ إِنَّ الدِّينَ



عِندَ اللَّـهِ الْإِسْلَامُ ﴾[1] وهو الدين الذي لن يقبل الله سواه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2]

وإذا أراد الإنسان السعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة عليه أن يدخل في دين الله، فليس هو حكراً على العرب، ولم تَعد بعدُ بلاد العرب مثالاً وقدوة له.. بعد أن تخلّوا عنه، ونبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً ! فشرط قدوتهم وخيريتهم وريادتهم وعودة دولتهم هو بإقامة هذا الدين في واقع الحياة؛ بإقامة شرع الله ـ تعالى ـ في كل مجالات الحياة.. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾[3]

ولا ينتظر الإنسان أن تقوم دولة الإسلام كتلك التي أقامها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشيّدها أصحابه الكرام من بعده.. لا ينتظر قيام تلك الدولة حتى يدخل في دين الله..

ليس للإنسان إلا أن يُسلم وجهه لله وهو مُحسن ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[4] ويسأل الله الهداية والراشد والاستقامة؛ حتى يفوز برضى الله، وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[5]

(1) [سورة آل عمران: 19]
(2) [سورة آل عمران: 85]
(3) [سورة آل عمران: 110]
(4) [سورة النساء: 125]
(5) [آل عمران : 133]





وينجو من عذاب الجحيم.. عذاب يشيب منه الوليد: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(1)

***

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّـهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّـهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَهَـٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾(2)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ مَفْعُولًا. إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّـهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(3)

***

(1) [آل عمران : 91]
(2) [سورة الأنعام: 125 :126]
(3) [سورة النساء: 47 : 48]







خاتمة الجزء الأول

وإذ يوضح هذا الجزء من الكتاب باطل وكُفر عقيدة "دستور الإيمان المسيحي"، فإنه يؤكد كذلك ـ كما جاء في كتاب الله ـ على حسن التعامل والعشرة والمخالطة الطيبة لأهل الكتاب. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ حين أخبرنا ـ في القرآن الكريم ـ عن العقيدة المسيحية القائمة الآن، قضى الحُكم من أول كلمة: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[1] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ﴾[2] .. ولكن حينما أخبرنا ـ في كتابه ـ عن المعاملة والحياة الاجتماعية قال: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[3] وقال: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4] وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " من آذى ذمياً فقد آذاني"[5] وقال أيضاً: "من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة" أي: خَصْمهُ ومُحَاجُّه[6].

---

(1) [سورة المائدة: 17]
(2) [سورة المائدة: 73]
(3) [سورة المائدة: 5]
(4) [سورة الممتحنة: 8]
(5) [رواه الطبراني]
(6) [رواه أبو داود]



فحقوق أهل الكتاب، كفلها الإسلام كاملة.. فيما يتعلق بحسن المعاملة وطيب المعشر، والقسط والعدل، ولكن كل أولئك لا يَعني تأييداً أو إقراراً لما هم عليه من باطل وشِرك. وليس هذا تعارضاً، بل هي طبيعة الإسلام ومنهجه، فقضايا العقيدة لا مداهنة، ولا مهادنة، ولا تلعثم، ولا تردد، ولا غبش حولها..

وقضايا العقيدة إما الحق وإما الباطل.. وعليها يتحدد مصير الإنسان في دنياه وأخراه ! وهذا هو ما يجب أن نواجه به كل من يحمل عقيدة الباطل والشِرك.

لقد كانت الحضارة الرومانية المسيحية في أوج قوتها وقت نزول هذا القرآن، وقال الله لهم: ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾[1] أي لستم على شيء من دين الله.. ومما جاء به المسيح عليه السلام، لأن الأمر ليس متعلقاً بالإنتاج المادي، ولا بالكثرة العددية، بل بالعقيدة الصحيحة.. واتباع منهج الله وشرعه.

وأسأل الله ـ سبحانه ـ أن يكون هذا الجزء من الكتاب قد كشف جانباً من الحقيقة أمام القارئ المسيحي، وليعلم أن الحُجة "تُفحم ولكن لا تُقنع.. وتُسكت ولكن لا يستجيب لها القلب والعقل. ويظل الجدل عبثاً والمناقشة جهداً ضائعاً.. ذلك ما لم تكن هي التقوى.. فإذا كانت استنار العقل، ووضح الحق، وتكشف الطريق، واطمأن القلب، واستراح الضمير، واستقرت القدم وثبتت على الطريق !

إن الحق في ذاته لا يخفى على الفطرة.. إن هناك اصطلاحاً من الفطرة على الحق الذي فطرت عليه؛ والذي خلقت به السماوات والأرض.. ولكنه الهوى هو الذي يَحُول بين

(1) [سورة المائدة: 68]

الحق والفطرة.. الهوى هو الذي ينشر الغبش، ويحجب الرؤية، ويُعمي المسالك، ويخفي الدروب. . والهوى لا تدفعه الحجة إنما تدفعه التقوى.. تدفعه مخافة الله، ومراقبته في السر والعلن.. وهذا الذي يُنير البصيرة، ويرفع اللبس، ويكشف الطريق".[1]

(1) من تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [سورة الأنفال: 29] في ظلال القرآن - سيد قطب.





تمهيد الجزء الثاني

الجزء الثاني - باختصار - هو إجابة لسؤال: ماذا يقول كتاب الله "القرآن الكريم" عن المسيح عيسى - بن مريم - عليهما السلام ؟

وكان عملي في ذلك الجزء: هو البحث في كتاب الله عن الآيات التي تحدثت عن المسيح وقومه، واخترت كتاب "في ظلال القرآن" للعيش في ظلال الآيات المختارة.

ووضعت للآيات المختارة عناوين مناسبة لجو الآيات، وجاءت موضوعات الكتاب كالتالي:

فاتحة الكتاب: (وهي سورة الفاتحة وتحتوي على كليات التصور والعقيدة الإسلامية).

خطيئة آدم: (الحديث عن خطيئة آدم، وقصة البشرية الأولى).

ملة إبراهيم: (وإبراهيم - عليه السلام - هو أبو الأنبياء، وإليه يرجع نسب الرسل الكرام موسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين).

ميلاد يحيى: (وهو يعتبر معجزة بالنسبة لمقاييس البشر).

معجزة ميلاد المسيح: (وهو معجزة عجيبة في الميلاد بلا أب، وهي معجزة بالنسبة لمقاييس البشر، أما في قدرة الله فأمره بين الكاف والنون.. كن؛ فيكون).

ادعاء يكاد ينهار له الكون: (وهو ادعاء اتخاذ الله ولدا، ومصير من يقول ذلك).

دين الله: (وهو من أكبر موضوعات الكتاب ويتحدث عن معنى الدين والإسلام).

تعالوا إلى كلمة سواء: (دعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء وهي عبادة الله وحده بلا شريك).

حقيقة النبوة والرسالة: (معنى الرسالة، ومهمة الرسل عليهم السلام).

موقف اليهود من المسيح: (ماذا فعلوا مع نبيهم المسيح عيسى عليه السلام ؟).

الأحبار والرهبان: (معنى العبادة، ودور رجال الكهنوت في تحريف معنى الدين).

اختلاف الطوائف في طبيعة المسيح: (بيان الاختلاف الهائل في طبيعة المسيح وماهيته).

حقائق ومصائر: (حقائق الإيمان، ومصير المؤمنين والكافرين).

كُفر من اعتقد أن المسيح هو الله: (تفنيد هذا الادعاء وقول الله ـ سبحانه ـ فيه).

تحكيم الشريعة: (الشريعة قضية عقيدة).

كُفر من اعتقد أن الله ثلاثة أقانيم: (تفنيد هذا الادعاء وقول الله ـ سبحانه ـ فيه).

الإيمان الحق: (النهي عن الظلم والبغي والفساد).



المسيح عبدالله ورسوله: (شهادة الله ـ سبحانه ـ عن المسيح، وشهادة المسيح ـ عليه السلام ـ عن نفسه).

دعوة المسيحيين للتوحيد: (دعوة مباشرة صريحة للدخول في دين الله).

بشارة المسيح بالرسالة الأخيرة: (بشارة بالنبي الخاتم).

أسماء الله الحسنى: (بعض مما وصف الله ـ تعالى ـ به نفسه).

التوحيد: (معنى التوحيد وحقيقته).

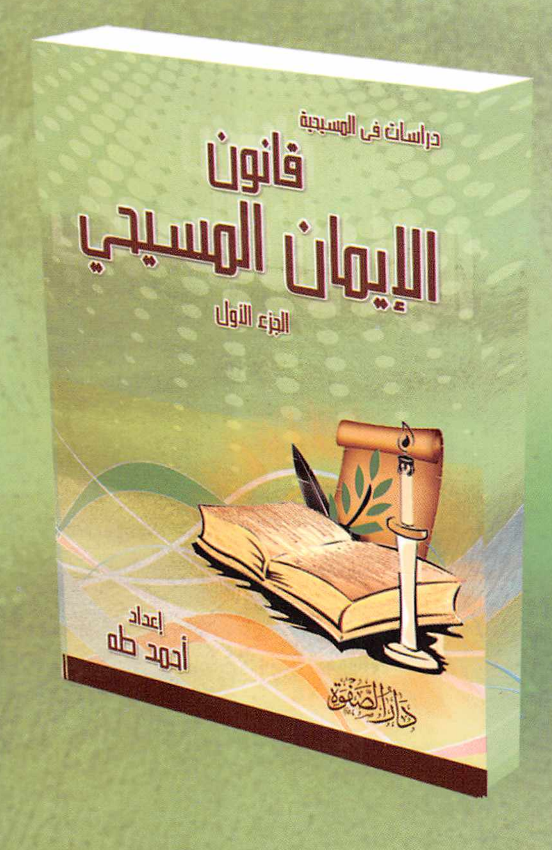
***

وأخيراً.. أتمنى أن يجد القارئ المسيحي مساحة في عقله ونفسه، ليعرف ماذا يقول كتاب الله عن معتقده وإيمانه. وأن يجد كذلك مساحة للتأمل في تلك الآيات، عسى أن يهدينا الله إلى ما يحبه ويرضاه.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.



فى هذا الكتاب



ينقسم الكتاب إلى جزئين

الجزء الأول : "قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني" وفي هذا الجزء نناقش هذا القانون من الناحية العقلية، ونحاول فهمه، وإثارة الأسئلة حوله.. وتركت إجاباتها للعقل المسيحي ليحكم هو عليها

والجزء الثاني: "المسيح في القرآن الكريم" وفي هذا الجزء استجمعت ما قاله الله تعالى عن المسيح ـ بن مريم ـ عليهما السلام، وما جاء في العقيدة المسيحية

وهذا الكتاب مُوجه إلى كل مسيحيي العالم بمختلف طوائفهم ومذاهبهم ومعتقداتهم، حتى العلمانيين منهم! وليكن القارئ على يقين أنني ما أعددت هذا الكتاب إلا حرصاً عليهم، ورحمة بهم، ورحمة بالإنسانية، ورغبة من القلب أن يدخلوا جنة الخلد، وأن ينجوا من عذاب النار، وقبل هذا وذاك.. بلاغ وبشرى ونذير، ابتغي بها رضى رب العالمين

دار الصفوة
للنشر والتوزيع
مصر - القاهرة
٤٢ ش جزيرة بدران أول شبرا ت وفاكس ٢٥٧٧٤٩٢١
E.mail: darelsafwah@yahoo.com